

الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكَّم

الرِّفق في السُّنَّة النَّبوية

د/حسن محمد عبه جي

السنة الرابعة والعشرون العدد (٢٣٧)
العام ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م

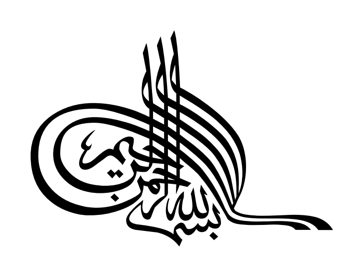
الرِّفق في السُّنَّة النبوية

بقلـــم

د . حسن محمد عبه جي

أستاذ الحديث وعلومه المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الملك سعود



ملخص البحث

اسم البحث : الرِّفق في السنة النبوية .

أهمية البحث : تبرز أهمية هذا البحث من خلال الحاجة الماسّة إلى التّعامل بالرفق في شتى مجالات الحياة، في الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين سرعة الغضب والانفعال ، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة ، وأهملوا الرِّفق واللين في حياتهم إما تهاوناً أو جهلاً .

هدف البحث : يهدف البحث إلى تفعيل هذا الخلق العظيم في حياة الأمة ، وتجسيده واقعاً ملموساً ، وسلوكاً متّبَعاً في كل المجالات ؛ لتقديم الإسلام بصورته الواقعية، ليسود الحب والوئام بين أهل الإسلام .

إجراءات البحث : قمت باستقراء المادة العلمية لهذا البحث وجمعها من دواوين السنة ، ثم صنّفتها تصنيفاً موضوعياً ، كما رجعت إلى كتب اللغة والغريب وشروح الحديث ، فأفدت منها ما يعين على فهم النصوص والاستنباط منها .

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها :

- أن الرفـق في أصـله منـدوب إليـه ، ويتأكـد في بعـض الحالات فيصير واجباً ، وقد يجلب مفسدة أو ضرراً في أحيـان أخرى فيكون حراماً .

- يتنوّع الرفق بالنظر إلى باعثـه إلى : رفـق فطـري ، ورفـق مكتسب . وبالنظر إلى محله إلى : رفق ذاتي ، ورفق متعدٍّ .

- للرفق ضوابط ينبغي مراعاتها ، وبدونها ربما فُسّر الرفق تفسيراً خاطئاً .

- يتحقَّق بالرِّفق جملة من الأهداف الدينية والدنيوية التي يحرص العاقل عليها .

- الرفق مطلوب في شتى مجالات الحياة ، ومـن أبرزهـا : الرِّفق في مجال العبادات ، والرِّفق في محيط العلاقات الأسريـة ، والرِّفق في العلاقات العامة .

- لكل مجال من هذه المجـالات الثلاثـة صـور متعـددة ، جمعت أبرزها، وذكرت الدليل عـلى مشرـوعية الرفـق في كـل صورة منها .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإنه لا يخفى لدى المتأمّل في حاضر الأمة مدى المعاناة التي تعيشها ، والتي تتمثَّل في أبرز جوانبها بالتّقصير الواضح في جانب الأخلاق ! .

فالصِّدق ، والصَّبر ، والتَّسامح والعفو ، والتَّعاون والنُّصْرة ، والرَّحمة ، والوفاء ، والإيثار ، والإحسان ، والبذل والعطاء ، والعطف والحنان ... وسائرُ المعاني الجميلة ، والأخلاق الفاضلة : أمسَتْ في حياة الناس بضاعة نادرة ، وفي بعض الأحيان معدومة !! .

ولو سألت أيَّ مسلم : صغير أو كبير ، رجل أو امرأة ، ملتزم أو مقصّر عن الأخلاق وأهميتها في الإسلام ، لوجدت عنده قدراً كافياً من العلم .

ولرأيته على ذُكْر بأن الإسلام دين الفضائل والمكارم ، يحبُّ معالي الأمور ويدعو إليها ، ويكره سفاسفها وينهى عنها، حسَّن الحسن ورغَّب فيه ، وقبَّح القبيح ونهى عنه ، فلا يوجد

خلق كريم إلا والإسلام حثَّ عليه ، ولا خلق ذميم إلا وحذَّر منه .

ولما جاء الثناء من الله تعالى على نبيِّه وصفوة خلقه سيدنا محمد ﷺ، جاء الثناء على أخلاقه ، فقال تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }(1).

وعرَّفنا المصطفى ﷺ بخيار الأمّة ، وذكر أبرزَ صفةٍ لهم استحقّوا بها هذه الخيرية، فكانت الأخلاق ، يقول ﷺ : ((إنَّ خياركم أحاسِنكُم أخلاقاً)) رواه البخاري ومسلم(2) .

ومع هذا ، فالكلُّ يعلم أن في المسلمين اليوم من لا يعرف إيثاراً وإحساناً ورحمة وحناناً ، وفيهم من يقطع الأرحام ، ويسيء إلى الجوار ، وفيهم من لا يُوقِّر كبيراً ولا يرحم صغيراً ، وفيهم ... وفيهم ...

ناهيك عمّن اعتاد الكذب وخُلْفَ الوعد ، أو تفنَّن في أساليب الخداع والغش، أو غير ذلك من العادات والأخلاق

---

(1) سورة القلم (٤) .

(2) البخاري : كتاب الأدب – باب حسن الخلق ... (٦٠٣٥) ، ومسلم : كتاب الفضائل – باب كثرة حيائه ﷺ ٤ : ١٨١٠ حديث ٦٨ (٢٣٢١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

الرذيلة ، وهم ينتسبون لخير أمة أخرجت للبشرية، يقول نبيُّها وهاديها ﷺ : ((إنما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ صالح الأخلاق))[1].

فلماذا صار واقعنا هكذا ؟

إنَّ عدم الالتزام بتعاليم الإسلام بسبب ضعف الوازع الديني ، يجعل البعض مفرّطين في أحكامه وتعاليمه التي من جملتها : الآداب والأخلاق .

إلا أن صنفاً آخر من المسلمين مشكلتهم مع الأخلاق مختلفة ، فهم يسيئون الفهم للدّين ، فينعكس هذا سلْباً على سلوكهم ، الذي تحتلّ الأخلاق منه موقعاً هامّاً .

فمن الخلل أن يكون المسلم انتقائياً في تعاليم الدّين ، يأخذ منها ما لا يتعارض مع مصالحه الشخصية ، ورغباته النفسية ، ويلقي عرض الحائط ما وراء ذلك .

ومن الخلل أن ترى المسلم ملتزماً وهو يصلي في المسجد ، غير ملتزم في معاملاته وتصرفاته خارجه .

ومن الخلل أيضاً أن يكون مفهوم الأخلاق عند المسلم على أنها شيء ثانوي لا أساسي .

---

(١) رواه أحمد ٢ : ٣٨١ والحاكم ٢ : ٦١٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحاكم : ((حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)) ووافقه الذهبي ، وقال السخاوي في ((المقاصد الحسنة)) ص ١٢٢ : ((رجاله رجال الصحيح)) .

ومن الخلل كذلك أن يكون الدين موزَّعاً عند المسلم بين فرائض وواجبات فيقوم بأدائها ، وبين آداب وأخلاق وفضائل، يخيَّل إليه أنه لا يعاقب على تركها .

إن التزام المسلم بالأخلاق الكريمة ، يعكس الصورة الحقيقية لدينٍ ظلَّت الأخلاق من أبرز خصائصه ، ناهيك عن أنه لا صلاح لهذه الأمة ، ولا خلاص لها من التناحر والتدابر والخلاف والفُرقة ، إلا بنبذ الأنانيّة وسائر الأخلاق الرذيلة والعادات الدنيئة ، والعودة الصادقة إلى الأخلاق الإسلامية النبيلة .

وفي هذا البحث دراسة لخلق إسلامي كريم ، طالما تردّد على الألسنة ، واهتمَّ له العلماء ، وشحنوا به أحاديثهم ومؤلّفاتهم ، ألا وهو الرِّفق ، السلوك الغائب عن حياة كثير من المسلمين ، حتى غدا البعض لا يترفَّقون بأنفسهم ناهيك عن الترفُّق بمن حولهم ، ولا يرحمون أنفسهم فضلاً عن رحمة الآخرين ! .

وغدا البعض يفسّرون الرِّفق : ذِلَّة ، والرِّقَّة والرَّحمة : ضعفاً ، والأناة : كسلاً، والمداراة : نفاقاً ، واللين والسهولة واللطف والعطف : أموراً تنافي الرُّجولة !.

وربما فسّر هؤلاء أو أمثالهم الفظاظـةَ والغِلْظـة والقسـوة : رجولةً ، والتشدُّد : تمسكاً والتزاماً ! .

انقلبت المفاهيم فانقلبت الأحوال ، فلا حول ولا قـوة إلا بالله ، علماً بأنه لا خلاص ولا صلاح إلا بتصـحيح المفـاهيم ، ومن ثَمَّ تجسيدها واقعاً في حياة الأمّة .

وقد حاولت أن يكون هذا البحث لبنة في بنـاء التصـحيح والتوعية ، جمعت له الأحاديث النبوية الشـريفة التـي تحـدَّثت عن الرِّفق وبيَّنت فضله ، ثم قمت بدراستها دراسة موضوعية، وسمَّيْتُه : (**الرِّفق في السُّنَّة النبوية**) .

مشكلة البحث :

إن كان لهذا البحث مشكلة ففي كـون مادتـه موزّعـة عـلى جميع أبواب الدين ، وما ذاك إلا لأنه مطلوب في كل مجال ، وفي كل حالٍ وقالٍ ، فالرِّفق مطلوب في العبادات ، كما هو مطلوب في المعاملات وسائر العلاقات ، وهـذا يقتضـــي وقتـاً طـويلاً وجهداً كبيراً في جمع مادّته .

حدود البحث :

الأحاديث الـواردة في موضـوع الرِّفـق ممـا أخرجـه أئمـة الحديث في دواوينهم ، مع التّركيز على الكتب السـتة ؛ لأن مـا خرج عنها نزر يسير ، وأقتصر في كل حديث أخرجه الشيخان

أو أحدهما على ذلك ولا أطيل في إخراجه من غيرهما ، معتمداً على وجوده في أصحّ كتابين بعد كتاب الله تعالى ، وما أخرجه غيرهما : فإن وقفت على حكم لإمام معتبر على الحديث فبها ونعمت ، وإلا درست إسناده وحكمت عليه اختصاراً بما يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة .

منهج البحث :

تعدّ هذه الدراسة دراسة حديثية موضوعية ، ويتبع الباحثون في أمثالها المنهج الاستقرائي المقترن بالتحليل والاستنباط .

خطة البحث :

اشتمل البحث على : تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة ، كما يلي :

التمهيد : ذكرت فيه أهمية الموضوع ، ومشكلته ، وحدوده، والمنهج المتبع فيه .

الفصل الأول : تعريف الرفق ، والألفاظ ذات الصِّلَة به ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الرفق .

المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة بالرفق .

الفصل الثاني : مشروعية الرفق، ونماذجه النبوية، وأحكامه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مشروعية الرِّفق .

المبحث الثاني : نماذج من رفق النبي ﷺ

المبحث الثالث : أحكام الرِّفق .

الفصل الثالث : أنواع الرِّفق ، وضوابطه ، وأهدافه، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أنواع الرِّفق .

المبحث الثانـي : ضوابط الرِّفق .

المبحث الثالث : أهداف الرِّفق .

الفصل الرابع : مجالات الرفق ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الرِّفق في مجال العبادات .

المبحث الثاني : الرِّفق في محيط العلاقات الأسرية .

المبحث الثالث : الرِّفق في العلاقات العامة .

الخاتمة : واشتملت على أهم نتائج البحث .

هذا ، وأسأل الله تعالى حسن القصد ، والسـداد في القـول والعمل ، وأن يجعل هذا البحث مقبولاً ، وأن يَعُمَّ بنفعه جميـعَ المسلمين ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا

محمد النبي الأمي ، وعلى آلـه وأصـحابه الطيبـين الطـاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول

تعريف الرِّفق ، والألفاظ ذات الصلة به

المبحث الأول : تعريف الرِّفْق

المطلب الأول : تعريف الرِّفْق لغة :

الرِّفْق - بكسر الراء ، وسكون الفاء ، بعدها قاف - : اللُّطف ، وضدُّه : العنف .

وهو مصدر الفعل الثلاثي : رفَق ، ورفُق ، ومضارعهما : يرفُق ، وكذلك : رفِق ، ومُضارِعُه : يرفَق .

وهو فعل لازم يتعدى بحرف الجر ، تقول : رفَق بالرجل ، ورفَق له ، ورفق عليه ، أي : تلطّف معه ، ولان له جانبُه .

وإذا زيد فيه تعدّى بنفسه وبحرف الجر أيضاً ، تقول : أرفقَه ، وترفَّقَ به ، أي : رفَق .

وإذا طلبتَ الرِّفْقَ من أحد قلتَ : رِفْقاً ، أي : ارفُق ، ومصدره : رِفْقاً ، ومَرْفَقاً، ومَرْفِقاً ، ومِرْفَقاً ، وقرئ قولُه تعالى : { وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا }[1] بالوجهين الأخيرين[2]، والمعنى : ما ترتفقون به .

---

(١) سورة الكهف (١٦) .

(٢) القاضي ((الوافي في شرح الشاطبية في القراءات العشر)) ص ٣١١ .

والرّافقة : الرِّفقُ واللُّطْف وحسن الصنيع ، تقول : أولاه رافقةً .

والرّفيق والرّافق : اللطيف ، وقد ذكرا في الحديث الشريف:

فمن الأول : قولُه ﷺ : ((إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ))[1].

ومن الثاني : قول ظُهَير بن رافع رضي الله عنه : لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان بنا رافقاً[2]. أي : ذا رفق .

والرَّفيق أيضاً : ضدُّ الأخرق .

ويقال : أرفقه ، ورفَق به ، أي : نفعه ، وأوصل الرِّفق إليه ، وهذا الأمر رفيق بك ، ورافق بك ، ورافق عليك ، أي : نافع ، وكذا قولهم : هذا أرفق بك ، أي : أنفع ، ويقال : طلبتُ حاجةً فوجدتُها رفَقَ البُغْية ، إذا كانت سهلة[3].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ حديث ٧٧ (٢٥٩٣) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الحرث والمزارعة – باب ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر (٢٣٣٩) ، ومسلم : كتاب البيوع – باب كراء الأرض بالطعام حديث ١١٤ (١٥٤٨) .

(٣) ينظر : الفيرزابادي في ((القاموس المحيط)) مادة (ر ف ق) ، و ابن منظور في ((لسان العرب)) ١٠ : ١١٨ ، وابن الأثير في ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) ٢ : ٢٤٦ ، و الزمخشري في ((أساس البلاغة)) مادة (ر ف ق) .

المطلب الثاني : تعريف الرِّفْق اصطلاحاً :

لا يخرج معنى الرِّفق في الاصطلاح عـن معنـاه اللغـوي ، فقد عرّفه الحافظ ابـن حجـر بقولـه : ((لـين الجانـب بـالقول والفعل ، والأخذُ بالأسهل ، وهو ضِدُّ العنف[1])).

وقـال العظـيم آبـادي – وتابعـه المبـاركفوري – هـو : ((المداراة مع الرُّفَقاء ، ولينُ الجانب ، واللُّطْفُ في أخـذ الأمـر بأحسن الوجوه وأيسرها[2])) .

وقال الزمخشري : ((لِين الجانب ، ولَطافة الفعل[3])) .

وقـال أبـو البقـاء الكفـوي : ((التّوسُّـط و اللّطافـة في الأمر[4])) .

وهذه التعريفات وإن كانت متفاوتـة في العبـارة ، إلا أنهـا متقاربة في الدلالة ، ولعل أشملها تعريف ابن حجر ، ويمكننا أن نستنتج منها جملة أمور ، من أبرزها :

١ – أن الرِّفق سلوك كريم .

٢ – أن الرِّفق يكون في القول والعمل .

---

(١) ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٦٤ .

(٢) العظيم آبادي في ((عون المعبود)) ١٣ : ١١٢ ، والمباركفوري في ((تحفة الأحوذي)) ٦ : ١٣٠ .

(٣) ((أساس البلاغة)) مادة (ر ف ق) .

(٤) الكفوي ((الكليات)) ص ٤٨٢ .

٣- أن الرِّفقَ توسّط واعتدال .

٤- أن الرِّفق مسايرة وتوافق .

٥- أن الرِّفق اختيار الأفضل والأسهل .

المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصِّلَة بالرِّفْق

ظهر من خلال البحث أن جملة من الألفاظ لها صلة بالرِّفق، بعضها يوافقه في معناه أو يقاربه ، وبعضها يضادُّه ويخالفه ، ونظراً لكثرة تلك الألفاظ من جهة ، وكونِ هذه الدراسة دراسة حديثية من جهة أخرى ، فإني سأقتصر على ذكر ما وقفت عليه من الألفاظ في السُّنَّة النبوية خاصة ، جاعلاً إياها في مطلبين على النحو الآتي :

المطلب الأول : الألفاظ الموافقة لمعنى الرِّفق ، ومن أبرزها الألفاظ التسعة الآتية :

١ – الهَوْن : يقال : هان يَهُون هَوْناً ، إذا سهُلَ .

وفي التنزيل : ﴿ وعِبادُ الرَّحمنِ الذينَ يَمْشُونَ على الأرضِ هَوْناً ﴾[1].

والهيِّن ، والهَيْن : الساكن المُتَّئِد[2]،والهَيْنَةُ : الرِّفق ، قاله ابن حجر[3].

(١) سورة الفرقان (٦٣) .

(٢) ((القاموس)) مادة (هـ ي ن) .

(٣) ((فتح الباري)) ٢ : ١٤٤ عند شرح حديث (٦٣٩) .

٢- **اللِّين** : هو ضِدُّ الخشونة ، يقال : لانَ فلانٌ لقومه يَلِين لِيناً ، إذا سَهُل ، وفلانٌ ليِّنُ الجانب ولَيْنُ الجانب[1].

ومنه قوله تعالى : ﴿ فبما ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

٣- **السُّهولة** : هي ضدُّ الشِّدَّة والصُّعوبة ، يقال : سَهُل فلان إذا مال إلى اللِّين وقِلَّة الخُشونة ، فهو سَهْلٌ ، وفلانٌ سهلُ الخُلُق أو القِياد أو المعاملة أي : لَيِّنٌ ، سَلِسٌ، سَمْحٌ[3].

وقد جاءت الألفاظ الثلاثة الآنفة مجتمعة في حديث شريف يحثُّ على الرِّفق ويرغِّب فيه :

عن عبد اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((ألا أُخْبِرُكم بمن يَحْرُم على النَّار، أو : بِمَنْ تَحْرُم عليه النارُ ؟ على كلِّ قريبٍ هَيْنٍ لَيْن سهل)) أخرجه الترمذي[4].

والمعنى : تحرم النار على كلِّ قريبٍ إلى الناس ، قد اتّصف بالسكون والوقار والسهولة ، فهو كريم الشمائل ، سهل

(١) الراغب في ((مفردات ألفاظ القرآن)) ص ٧٥٢ ، و ((القاموس)) مادة (ل ي ن).

(٢) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٣) ((مفردات ألفاظ القرآن)) ص ٤٣٠ ، و ((المعجم الوسيط)) مادة (س هـ ل) .

(٤) الترمذي : كتاب صفة القيامة – باب (٤٥) حديث (٢٤٨٨) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

الأخلاق ، ليس شديداً ولا عنيفاً ولا صَعْباً[1].

٤ -المداراة :

يقال : داراه ، أي : لاطفه ولاينه ورفق به واتّقاه[2].

قال ابن حجر: ((المُداراة : هو بغير همز، بمعنى المجاملة والمُلاينة))[3].

وقال ابن بطال[4]: ((المداراة من أخلاق المؤمنين وهي : خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة وسَلِّ السَّخِيمة[5])) .

وقال أيضاً[6]: ((المداراة هي : الرِّفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي ولا يجاهر بالكبائر، والمعاطفة في ردِّ أهل الباطل إلى مُراد الله بلينٍ ولُطْفٍ حتى يرجعوا عما هم عليه)) .

والمُداراة بمعناها السابق مشروعة، وهي تختلف عن المُداهنة المحرَّمة، فقد فسّر العلماء المداهنة بأَنْ تَلْقَى الفاسقَ المُظهِرَ لفسقه بالألفة والمودّة والرِّضا ، وترى أفعاله المنكرة ولا تنكرها عليه[7].

---

(١) ينظر : ((النهاية)) ٥ : ٢٨٩- ٢٩٠ ، و ((تحفة الأحوذي)) ٧ : ١٦٠- ١٦١.

(٢) ((المعجم الوسيط)) مادة (درى) .

(٣) ((فتح الباري)) ٩ : ١٦١ .

(٤) ابن بطال في ((شرح صحيح البخاري)) ٩ : ٣٠٥ .

(٥) أي : إخراج الحقد الذي في النفوس برفق . ((القاموس)) مادة (س ل ل) و (س خ م) .

(٦) ((شرح صحيح البخاري)) ٩ : ٣٠٦ .

(٧) المرجع السابق .

٥-اللُّطْف :

يقال : لَطَف به ، ولَطَف له ، يَلْطُف ، لُطْفاً ، ولَطَفاً : رفَق به ورأف .

وتلطَّف للأمر، وفيه ، وبه : ترفَّق ، وألطف له في القول وفي المسألة : سأله سؤالاً لطيفاً ، ولاطفه : رفق به وألان له القول ، وتلاطف القوم وتلطّفوا : رفَق بعضُهم ببعض[١].

قالت عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك : ((فقدِمْنا المدينةَ فاشتكَيْتُ بها شهراً والناس يُفِيضون من قول أصحاب الإفك ، ويَرِيبُني في وجَعي أني لا أَرَى من النبيِّ ﷺ اللُّطْفَ الذي كنْتُ أَرى منه حين أَمْرَضُ ...)) الحديث ، أخرجه الشيخان[٢].

قال الحافظ ابن حجر[٣]: ((اللُّطْف - بضم أوله وسكون ثانيه ، وبفتحهما ، لغتان ، والمراد : الرِّفْق ، ووقع في رواية ابن إسحاق : أنكرت بعضَ لُطْفِه)) .

(١) ((المعجم الوسيط)) مادة (ل ط ف) .

(٢) البخاري : كتاب الشهادات – باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ٥ : ٣١٩ (٢٦٦١) ، ومسلم : كتاب التوبة – باب في حديث الإفك ٤ : ٢١٢٩ حديث ٥٦ (٢٧٧٠) .

(٣) ((فتح الباري)) ٨ : ٣٢٠ .

٦-الأَنَاة :

يقال : أَنِيَ ، يأْنَى ، أَنْياً وإِنىً : تمهَّل وترفَّق .

وتأنّى فلان : إذا رفق .

واستأنِ يا فلان ، أي : لا تعجل ، وتأنَّ في أمركَ واتَّئِدْ: بمعناه .

وامرأةٌ أَنَاةٌ ، أي : رزينةٌ لا تَصْخَبْ ولا تُفْحِشْ .

والأَنَاة : التُّؤَدة والرِّفق[1].

وقال رسولُ الله ﷺ لأشَجِّ عبدِ القيسِ : ((إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما الله : الحِلْمُ والأَنَاةُ)) رواه مسلم[2].

٧- الرِّقّة :

يقال : رَقَّ جانبُه ، إذا لانَ وسهُل ، ورقَّ له : رحِمَه ، ورقَّق قلبَه : لطَّفه وليَّنه، ورقَّق كلامَه : لطَّفه وحسَّنه ، ورقَّق مَشْيَه : مشى مَشياً سهلاً ، وضدُّ الرِّقَّة : الغِلْظة[3].

---

(١) ((لسان العرب)) ١٤ : ٤٨ ، و ((المعجم الوسيط)) مادة (أ ن ي) .

(٢) مسلم : كتاب الإيمان – باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ... عن ابن عباس رضي الله عنهما ١ : ٤٨ حديث (٢٥) .

(٣) ((القاموس)) و ((المعجم الوسيط)) مادة (ر ق ق) .

قال مالك بن الحُوَيْرِث رضي الله عنـه : ((أتينـا النبـيَّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشــرين ليلـة ، فظـنَّ أنّـا اشتَقْنا أهلَنا ، وسألَنا عمّن تَرَكْنـا في أهلنـا ، فأخبرنـاه ، وكـان رقيقاً رحيماً...)) الحديث أخرجه البخاري[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها : ((إن أبا بكر رجل رقيق[2])) أي : ضعيف هيِّن لـيِّن ... والمـراد بالرِّقَّـة هنـا : ضـدُّ القسـوة والشِّدَّة ، قاله ابن الأثير[3].

٨- العطف :

يقال : عطَف يَعْطِف ، إذا مـال وانحنـى ، وعطَـف عليـه وتعطَّف ، إذا أشفق ورَحِم[4].

جـاء في الحـديث : ((إنَّ الله خلـق يـومَ خلـقَ السـماواتِ والأرضَ مئةَ رحمةٍ ، كلُّ رحمةٍ طِباقُ ما بـين السـماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمةً ، فبها تَعْطِفُ الوالدةُ على ولدها ،

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم (٦٠٠٨) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري : كتاب الأذان – باب أهل العلم والفضل أحقُّ بالإمامة (٦٧٨) ، ومسلم : كتاب الصلاة – باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ... ١ : ٣١٦ حديث ١٠١ (٤٢٠) عن أبي موسى رضي اللّه عنه .

(٣) ((النهاية)) ٢ : ٢٥٢.

(٤) ((القاموس)) و ((المعجم الوسيط)) مادة (ع ط ف) .

والــوحشُ والطـيرُ بعضُــها عــلى بعــضٍ ...)) الحــديث رواه مسلم[1] .

٩- الرِّسْل :

الرِّسْل : الرِّفق والتُّؤَدة ، يقال : افعل كـذا عـلى رِسْـلِك ، أي: اتَّئِد ولا تعجل[2].

وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث الشريف ، ومن ذلـك ما جاء في حديث الهجرة عـن عائشـة رضي الله عنهـا قالـت : وتجهَّز أبو بكر قِبَل المدينة ، فقال لـه رسـول الله ﷺ: ((عـلى رِسْــلك فــإني أرجــو أن يُــؤْذنَ لي)) ... الحــديث ، أخرجـه البخاري[3].

قال ابن حجر : ((قوله (على رِسْلِك) : بكسر أوله ، أي : على مهلك ، والرِّسْل : السير الرفيق))[4].

(١) مسلم : كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله تعالى ... عن سلمان رضي الله عنه ٤ : ٢١٠٩ حديث ٢١ (٢٧٥٣) .
(٢) ((القاموس)) و ((المعجم الوسيط)) مادة (ر س ل) .
(٣) البخاري : كتاب مناقب الأنصار – باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٥) .
(٤) ((فتح الباري)) ٧ : ٢٧٦ .

والتَّرسُّـل : التمهُّـل والتَّرفُّـق ، يقـال : ترسَّـلَ في كلامـه وقراءته ومشيته[1].

قال ابن الأثيـر : ((ومنه حـديث عمـر ((إذا أذَّنْـتَ فترسَّل[2])) ، أي : تأنَّ ولا تعجل))[3].

---

(١) ((المعجم الوسيط)) مادة (ر س ل) .

(٢) البيهقي في ((السنن الكبرى)) ١ : ٦٢٩ (٢٠١٠) وهو موقوف على عمر رضي الله عنه ، وروي مرفوعاً من حديث جابر ، أخرجه الترمذي (١٩٥) والحاكم في ((المستدرك)) ١ : ٢٠٤ وإسناده ضعيف ، ينظر ((نصب الراية)) ١ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) ((النهاية)) ٢ : ٢٢٣ .

المطلب الثاني : الألفاظ المخالفة لمعنى الرِّفق، ومن أبرزها الألفاظ الستة الآتية :

١ – العنف :

يقال : عَنُف به ، وعليه ، يَعْنُف ، عُنْفاً : أخذه بشدَّة وقَسْوة ، فهو ضدُّ الرِّفق .

والعنف : بضم العين وفتحها وكسرها ، والمشهور ضمُّها[١].

ونصَّ ابن الأثير على ضمِّ العين فقط ، وقال : معناه ((الشِّدَّة والمشقَّة ، وكلُّ ما في الرِّفق من الخير ، ففي العنف من الشرِّ مثله))[٢].

وفي الحديث : ((يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) أخرجه مسلم[٣].

---

(١) ((القاموس)) مادة (ع ن ف) ، والنووي في ((شرح صحيح مسلم)) ١٦ : ١٤٥ و ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٦٧ عند شرح حديث (٦٠٣٠) .

(٢) ((النهاية)) ٣ : ٣٠٩ .

(٣) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ حديث ٧٧ (٢٥٩٣) عن عائشة رضي الله عنها .

٢- الفَظاظَة . ٣- الغِلْظة

أما الفظاظة : فيقال : فَـظَّ ، يَفَـظُّ ، فظَظـاً وفَظاظـةً : قَسَـا وأساء .

والفَظُّ: الغليظ الجانب، والسَّيِّءُ الخلُق، والقاسي، والخَشِنُ الكلام[١].

وأما الغِلْظة : فيقال : غَلُظ الخُلُق والطَّبْعُ والقول والفعل، يَغْلُظ ، غِلَظاً، وغِلْظَة : اشتدَّ وصَعُب .

ورجلٌ فيه غِلاظَةٌ ، أي : فَظاظة وقسوة ، والغِلْظَـة : ضـدُّ الرِّقَّة[٢].

قال النووي : ((الفَظُّ والغليظ بمعنىً ، وهـو عبـارة عـن شدَّة الخلق ، وخشونة الجانب))[٣].

وجـاء في صـفته ﷺ: ((... لَـيْسَ بِفَـظٍّ وَلاَ غَلِـيظٍ ...)) الحديث ، أخرجه البخاري[٤].

---

(١) مادة (ف ظ ظ) : ((القاموس)) ، و ((المعجم الوسيط)) .

(٢) مادة (غ ل ظ) : ((القاموس)) ، و ((المعجم الوسيط)) .

(٣) النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ١٥ : ١٦٥ .

(٤) البخاري : كتاب البيوع – باب كراهية السَّخَب في الأسواق (٢١٢٥) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

وهو موافق لقوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

٤- القَسْوة :

يقال : قسا القلب ، يقسو ، قَسْواً ، وقَساوَةً : اشتدَّ وصَلُبَ، فذهبت منه الرحمة واللِّين والخشوع ، والقسوة في القلب : الغِلَظ والصَّلابة والشِّدَّة[2].

جاء في الحديث : ((لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي)) أخرجه الترمذي[3].

٥-التَّكَلُّف :

يقال : كلَّفه الشيءَ تكليفاً : إذا أمره بما يَشُقُّ عليه ، وتكلَّفْتُ الشيءَ : إذا تجشَّمْتَه على مشقَّة وعلى خلاف عادتك .

والتَّكْلِفة : المشقّة ، وحملتُ الشيء تكلفة ، إذا لم تُطِقْه إلا تكلُّفاً[4].

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٢) ((المفردات)) ص ٦٧١ ، و ((المعجم الوسيط)) مادة (ق س و) .

(٣) الترمذي : كتاب الزهد – باب ٦١ حديث (٢٤١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال الترمذي : ((هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم ابن عبد الله بن حاطب)) . وإبراهيم هذا ذكره ابن حبان في ((الثقات)) ٦ : ١٤ ، ٢٥ ، وقال عنه ابن حجر في ((التقريب)) (١٩٤) : ((صدوق ، روى مراسيل)).

(٤) ابن الأثير ((النهاية)) ٤ : ١٩٦ ، و ((المعجم الوسيط)) مادة (ك ل ف) .

جاء في حديث أَنَسٍ رضي الله عنه قال : كنَّا عند عمرَ فقال: ((نُهِينا عن التَّكلُّف)) . أخرجه البخاري[1].

٦-التَّشَدُّد :

يقال : تشدَّد في الأمر ، وشدَّد فيه ، وشادَّ : إذا بالغ ، ولم يخفِّف .

والمشادَّة : التَّشدُّد[2].

وفي الحديث : ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ...)) الحديث ، أخرجه البخاري[3].

قال ابن حجر[4]: ((والمعنى : لا يتعمَّقُ أحدٌ في الأعمال الدينية ويترك الرِّفْقَ إلا عجز وانقطع فيُغْلَبَ)) .

---

(١) البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب ما يكره من كثرة السؤال (٧٢٩٣).

(٢) ((القاموس)) ، و ((المعجم الوسيط)) مادة (ش د د) .

(٣) البخاري : كتاب الإيمان – باب الدين يسر (٣٩) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ((فتح الباري)) ١ : ١١٧ .

الفصل الثاني

مشروعية الرِّفْق، ونماذجه النبوية، وأحكامه

المبحث الأول: مشروعية الرِّفْق

اشتملت كتبُ السُّنّة على جملةٍ من الأحاديث الشريفة التي ذكرت الرِّفق ، وبيَّنَتْ مشروعيته وفضله ، ورغَّبَتْ فيه ، ولا يكاد مصنَّف حديثيٌّ يخلو منها .

وغالباً ما تأتي أحاديثُ الرِّفق في الكتب المصنَّفة على الأبواب مجموعةً تحت باب واحد :

فقد عقد البخاري رحمه الله البابَ الخامس والثلاثين من كتاب الأدب لأحاديث الرِّفق ، وبوَّب لها بقوله : (باب الرِّفق في الأمر كله)[1]، وأخرج تحته حديثين .

وضمَّن الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله موضوعاتِ البر والصِّلة والآداب من صحيحه جملةً من الأحاديث الواردة في الرِّفق ، وبوَّب لها الإمام النووي بقوله : (باب فضل الرفق)[2].

---

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ١٠ : ٤٦٣.

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٠٤ .

وقال الإمام أبو داود السِّجِسْتاني رحمه الله في كتاب الأدب من سننه : (باب في الرِّفق)[1].

وقال الإمام أبو عيسى التِّرْمِذي في كتاب البر والصلة من كتابه : (باب ما جاء في الرفق)[2].

وقال الإمام ابن ماجه في كتاب الأدب من سننه : (باب الرفق)[3].

وأخرج الثلاثة تحت هذه الأبواب جملة من الأحاديث .

وهذا هو الأعمُّ الأغلب في مثل تلك المصنَّفات ، إلا أنَّ هذا ربما تخلَّف في بعضها، كما في (المجتبى)لأبي عبد الرحمن النسائي رحمه الله ، وهو مع ذلك قد أخرج بعض أحاديث الرِّفق في أبواب متفرقة من كتابه بحسب موضوعاتها ، فقد قال في كتاب البيوع : (باب حسن المعاملة والرِّفق في المطالبة)[4]، وقال في كتاب آداب القضاة : (باب إشارة الحاكم بالرِّفق)[5].

---

(١) سنن أبي داود ٥ : ١٥٥ .

(٢) سنن الترمذي ٤ : ٣٦٧ .

(٣) سنن ابن ماجه ٢ : ١٢١٦.

(٤) سنن النسائي ٧ : ٣١٨ .

(٥) السابق ٨ : ٢٤٥.

وفي هذا دلالة ظاهرة على عناية الإسلام بهذا الخلق الكريم، ووفرة الأحاديث الواردة فيه ، وحرص أئمتنا على رواية تلك الأحاديث وإخراجها في مصنَّفاتهم .

وسأذكر في هذا المبحث أبرز الأحاديث التي ذكرت الرِّفق ودعت إليه ورغَّبت فيه، وبيَّنت مشروعيته وفضله ، مع عزوها إلى مصادرها ، ونقل أحكام الأئمة عليها فيما ليس في الصحيحين أو أحدهما ، والتعليق عليها بما يوضح المراد منها ، مبتعداً عن التّكرار والتّطويل ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

الأول : ((إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه)) .

روي من حديث عائشة رضي الله عنها :

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن رهْطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السّام عليكم . فقالت عائشة: بل عليكم السّام واللّعنة .

فقال رسول الله ﷺ : ((يا عائشة ، إن الله يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه)) . قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ .

قال : ((قد قلتُ : وعليكم)) أخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ له[1].

---

(١) البخاري : كتاب الأدب –باب الرفق في الأمر كله (٦٠٢٤) ، ومسلم : كتاب السلام –باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ٤ : ١٧٠٦ حديث١٠ (٢١٦٥) .

وفي رواية : ((مهـلاً يـا عائشـة ، عليـكِ بـالرِّفق ، وإيّـاكِ والعنفَ والفحش))[1].

وفي رواية أخرى : ((يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله))[2].

وفي هذا دليل على مشروعية الرفق ، وبيان فضـلِه ، ومحبَّـة الله تعالى لمن ترفَّق في جميع أموره ، وعلى كل أحواله ، ومع كلِّ الناس ، حتى مع المعاندين والمخالفين ، فالرِّفق مطلوب معهم كما هو مطلوب مع غيرهم .

فهذا الرؤوف الرحيم ﷺ يربِّي أصحابه على الرِّفق ، ويأمر أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن تترفَّـق حتـى مـع أولئـك النفر من اليهود الألِدّاء ، الذين أسمعوه الأذى وتمنَّوْا له الموت -بأبي هو وأمي صلوات الله عليه وسلاماته -وينهاهـا أن تـردَّ عليهم بأسلوبهم الفاحش البذيء ، ليكـون الرِّفـقُ الأسـلوبَ الأمثل الذي يميز المسلم في تعامله مع الناس كلِّهم .

الثاني : ((إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ ، ويُعْطِي على الرِّفْـقِ مـا لا يُعْطِي على العُنْفِ، وما لا يُعْطِي على ما سِواه)) .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً (٦٠٣٠).

(٢) البخاري : كتاب استتابة المرتدين – باب إذا عرّض الذمي أو غيره ... (٦٩٢٧) .

روي من حديث عائشة ، وعبد الله بن مُغفَّل ، وأبي هريرة، وعلي ، وأنس ، ومعدان أبي خالد ، وأبي أمامة رضي الله عنهم :

٢-فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ((يا عائشة ، إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ ، ويُعْطِي على الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي على العُنْفِ ، وما لا يُعْطِي على ما سِواه)) رواه مسلم[1].

٣-وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ: ((إن الله عزَّ وجلَّ رفيق يحب الرِّفق ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف)) أخرجه أحمد وأبو داود بإسنادٍ صحيح[2].

٤-وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفق ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف)) أخرجه ابن ماجه وابن حبان[3]بإسنادٍ حسن ،

(١) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٣ حديث ٧٧ (٢٥٩٣) .

(٢) أحمد ٤ : ٨٧ ، وأبو داود : كتاب الأدب – باب في الرفق (٤٨٠٧) .

(٣) ابن ماجه : كتاب الأدب – باب الرفق (٣٦٨٨) ، وابن حبان كما في ((الإحسان)) ٢ : ٣٠٩ (٥٤٩) ، وعزاه المزي في ((تحفة الأشراف)) ٩ : ٣٧٤ (١٢٤٩١) إلى النسائي في ((الكبرى)) وهو ساقط من طبعة البنداري وكسروي.

وأخرجه البزار[1] وفي إسناده : عبد الرحمن بن أبي بكر الجُدْعاني، وهو ضعيف[2].

٥ -وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ الله رفيق يحب الرِّفق ، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف)) أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى[3].

قال البزار : ((لا نعلم روى أبو خليفة عن علي إلا هذا الحديث ، ولا له إسناد إلا هذا الإسناد)) .

وقال الهيثمي : ((أبو خليفة لم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات))[4].

وقال ابن حجر : ((أبو خليفة الطائي البصري ، عن علي ، مقبول))[5].

وأخرجه النسائي في (مسند علي) موقوفاً عليه[6].

---

(١) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ٢ : ١٩١ (١٦٧٤) .

(٢) ينظر المزي في ((تهذيب الكمال)) ١٦ : ٥٥٤ – ٥٥٥ (٣٧٦٨) ، ووهم الهيثمي فذكر الحديث في ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨ ، مع رواية ابن ماجه له .

(٣) أحمد ١ : ١١٢ ، والبزار في ((البحر الزخار)) ٢ : ٣٢٢- ٣٢٣ (٧٥٦)، وأبو يعلى ١ : ٣٨٠ (٤٩٠) .

(٤) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨.

(٥) ((التقريب)) ص ٦٣٧ (٨٠٨٤) .

(٦) نقلاً عن ((تهذيب الكمال)) ٣٣ : ٢٨٨ (٧٣٤٨) .

٦-وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله رفيق يحب الرِّفق ، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف)) أخرجه البزار والطبراني[1].

قال الهيثمي : ((أحد إسنادي البزار ثقات ، وفي بعضهم خلاف))[2].

٧-وعن خالد بن معدان ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : ((إن الله عزَّ وجلَّ رفيق يحب الرِّفق ويرضاه ، ويعين عليه ما لا يعين على العنف ...)) الحديث أخرجه الطبراني[3]، وقال : ((معدان أبو خالد ، يقال : له صحبة)) .

وقال الهيثمي : ((رجاله رجال الصحيح))[4].

٨-وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله عزَّ وجلَّ يحب الرِّفق ويرضاه ، ويعين عليه ما لا يعين على العنف)) رواه الطبراني[5].

---

(١) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ٢ : ١٩٠ ، ١٩١ (١٦٧١ ، ١٦٧٣) ، و ((المعجم الأوسط)) ٤ : ٤١٢ (٣٦٩٤) ، و ((المعجم الصغير)) ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨.

(٣) ((المعجم الكبير)) ٢٠ : ٣٦٥ (٨٥٢) .

(٤) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ .

(٥) ((المعجم الكبير)) ٨ : ٩٥ (٧٤٧٧) .

قال الهيثمي : ((فيه : صدقة بن عبد الله السَّمين ، وثّقه أبو حاتم الرازي ، وضعّفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات))[1].

وفي هذه الأحاديث دليل على مشروعية الرفق وبيان لفضله ، والحثُّ على التخلُّقِ به ، وذمُّ العنف ، فالرِّفق من الصِّفات التي يحبُّها الله ويرضاها ، ويأمر بها ويعين عليها ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف .

قال النووي : ((معنى ((يعطي على الرِّفق ..)) أي : يثيب عليه ما لا يثيب على غيره))[2].

وقال القاضي عياض : ((معناه : يتأتّى به من الأغراض ، ويُسهِّل من المطالب ما لا يتأتّى بغيره))[3].

وجمع العظيم آبادي بين المعنيين المتقدمين بقوله : ((يعطي عليه ، أي : في الدنيا من الثناء الجميل ، ونيل المطالب ، وتسهيل المقاصد ، وفي الآخرة من الثواب الجزيل))[4].

الثالث : ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ)) .

---

(١) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١٦ : ١٤٥.

(٣) نقلاً عن النووي في المرجع السابق .

(٤) العظيم آبادي في ((عون المعبود)) ١٣ : ١١٢.

روي من حديث عائشة ، وأنس رضي الله عنهما :

٩-فعن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ)) رواه مسلم[١].

وفي رواية : ركبَتْ عائشةُ بعيراً ، فكانت فيه صعوبةٌ ، فجعلَتْ تُرَدِّدُه ، فقال لها رسول الله ﷺ : ((عليكِ بالرفق ، فإن الرِّفق ...)) ثم ذكر مثله[٢].

ورواه أبو داود وابن حبان من طريق شريك ، عن المقدام ابن شريح ، عن أبيه قال : سألت عائشة عن البداوة ؟ فقالت : كان رسول الله ﷺ يبدو إلى هذه التِّلاع[٣]، وإنه أراد البداوة مرة فأرسل إليّ ناقةً محرَّمة[٤]من إبل الصَّدقة ، فقال لي : ((يا عائشة

---

(١) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٤ حديث ٧٨ (٢٥٩٤) .

(٢) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٤ حديث ٧٩ (٢٥٩٤) .

(٣) ((يبدو)) أي : يخرج إلى البادية ، والتلاع : مسايل الماء من علو إلى سُفْل ، واحدها : تَلْعة . ((النهاية)) لابن الأثير ١ : ١٠٨ ، ١٩٤ .

(٤) قال محمد بن الصبّاح – أحد رواة الحديث - : محرَّمة ، يعني : لم تركب .

ارْفُقِي ؛ فإن الرِّفْق لم يكُنْ في شيءٍ قطُّ إلا زانَـهُ ، ولا نُـزِعَ مـن شيءٍ قطُّ إلا شَانَهُ))[1].

وأخرجه أحمد بلفظ : ((يا عائشـةُ عليـكِ بتقـوى الله عـزَّ وجلَّ والرِّفقِ ، فإنَّ الرِّفقَ لم يكُ في شيء قطُّ إلا زانه ، ولم يُنْـزَعْ من شيءٍ قطُّ إلا شانه))[2].

وفي لفظ آخر : ((يـا عائشـة ، ارفقـي بـه ؛ فـإن الرِّفـق لا يخالط شيئاً إلا زانه ، ولا يفارق شيئاً إلا شانه))[3].

١٠ –وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((ما كـان الرِّفق في شيء إلا زانه ، ولا كان الفحشُ في شيء قطُّ إلا شانه)) .

أخرجه ابن حبان[4] بإسنادٍ رجاله رجال الشيخين غير نوح ابن حبيب ، وهو ثقة .

وأخرجه البزار بلفظ : ((ما كان الرِّفـق في شيء قـطُّ إلا زانـه، ولا كان الخُرْق[5] في شيء إلا شانه ، وإن الله رفيق يحب الرِّفق))[6].

---

(١) أبو داود : كتاب الأدب – باب في الرفق (٤٨٠٨) ، وابن حبان كما في ((الإحسان)) ٢ : ٣١٠ (٥٥٠) .

(٢) ((المسند)) ٦ : ٥٨ ، ٢٢٢.

(٣) ((المسند)) ٦ : ١١٢ .

(٤) ((الإحسان)) ٢ : ٣١٢ (٥٥١) .

(٥) الخُرْق : الجهل والحُمْق . ((النهاية)) ٢ : ٢٦ .

(٦) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ٢ : ١٩٠ (١٦٧٢) .

قال الهيثمي : ((فيه كثير بن حبيب ، وثّقه ابن أبي حاتم ، وفيه لين ، وبقية رجاله ثقات))[1].

وفي هذه الأحاديث بيان أن الرِّفق يزين الأمور ويجمِّلها ، ويتمِّم الأشياء التي يدخل فيها ، والعنف على النقيض من ذلك ، فهو يشين الأمور ويعيبها ، وبه تقبح الأشياء وتفسد .

الرابع : ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)) .

روي من حديث جرير بن عبد الله ، وأبي الدرداء ، وعائشة رضي الله عنهم :

١١-فعن جرير رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)) .

رواه مسلم ، والبخاري في (الأدب المفرد)[2].

وفي لفظ لمسلم : ((من حُرِم الرِّفق حُرِم الخير ، أو : مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخيرَ))[3].

---

(١) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨.

(٢) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٣ حديث ٧٤ ، ٧٥ (٢٥٩٢) والبخاري في ((الأدب المفرد)) ١ : ٥٥١ (٤٦٣) .

(٣) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٣ حديث ٧٦ (٢٥٩٢) .

وعنـد أبي داود بلفـظ : ((مَـنْ يُحْـرَمِ الرِّفـقَ يُحْـرَمِ الخـيرَ كلَّه))[1].

وأخرجه الطبراني من طريق آخر ، ولفظـه : ((الرِّفـق فيـه الزيادة والبركة ، ومن يُحرم الرِّفق يحرم الخير))[2].

وفي إسناده (عمرو بن ثابت) قال الهيثمي : ((متروك))[3].

١٢-وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : ((مَنْ أُعْطِيَ حَظَّه مِنَ الرِّفْقِ فقَدْ أُعْطِـيَ حظَّـه من الخير ، ومَنْ حُرِمَ حظَّـه مـن الرِّفْـق فقَـدْ حُـرِم حظَّـه مـن الخـير)) رواه الترمـذي[4]، وقـال : ((هــذا حـديث حســن صحيح)) .

وأخرجه أحمد بلفظ : ((مَنْ أُعْطِـيَ حظَّه من الرِّفق أُعْطِـيَ حظَّـه مـن الخـير ، ولـيس شيءٌ أثقـلَ في الميـزان مـن الخلـق الحسن))[5].

---

(١) أبو داود : كتاب الأدب - باب في الرفق (٤٨٠٩) .

(٢) ((المعجم الكبير)) ٢ : ٣٤٨ (٢٤٥٨) .

(٣) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨.

(٤) الترمذي : كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الرفق (٢٠١٣) .

(٥) ((المسند)) ٦ : ٤٥١ .

وأخرجه البخـاري في (الأدب المفـرد[1]) ولفظـه : ((مَـنْ أُعْطِيَ حظَّه من الرِّفق فقد أُعطي حظَّه من الخير ، ومَـن حُـرِم حظَّه من الرِّفق فقد حُرِم حظَّه من الخير ، أثقلُ شيءٍ في ميـزان المؤمن يوم القيامـة حسـن الخلـق ، وإنَّ الله لَيُـبْغِضُ الفـاحشَ البذيء)) .

وأخرج عبد بن حميد[2]الجملةَ الأولى منه .

١٣-وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : ((إنه من أُعطي حظَّه من الرِّفق فقـد أُعطـي حظَّـه مـن خـير الـدنيا الآخرة ، وصلةُ الرَّحِم وحسنُ الخُلُقِ وحُسْنُ الجِوار ، يعمـران الديار ، ويزيدان في الأعمار)) رواه أحمد[3].

قال المنذري -وتبعه الهيثمـي -: ((رجالـه ثقـات ، إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة[4])) انتهى .

وهذا وهم ، فالحديث من رواية عبد الرحمن بن القاسـم ، عن أبيه القاسم ، عن عائشة ، فلا انقطاع في الإسناد ، كذا هـو

---

(١) ((الأدب المفرد)) ١ : ٥٥١- ٥٥٢ (٤٦٤) .

(٢) ((المنتخب من مسند عبد بن حميد)) ص ١٠١ (٢١٤) .

(٣) ((المسند)) ٦ : ١٥٩.

(٤) ((الترغيب والترهيب)) ٣ : ٣٣٦- ٣٣٧ ، و ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٥٣.

عند أحمد ، وكذلك عند أبي يعلى[1] دون قوله : ((وصلة الرحم..)) إلى آخره .

ولا يخفى ما في الرواية المتقدمة من الإخبار بالتثنية عن الجمع! ، ولعله خطأ مطبعي أو وهم ناسخ ، وليس من أصل الرواية ، فقد جاء عند المنذري بلفظ : ((وصلة الرحم وحسن الجوار ، أو حسن الخلق ، يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار)) . فعبّر بـ (أو) بدل الواو ، فزال الإشكال عن الرواية .

وأخرجه أبو الشيخ بلفظ : ((من أعطي حظَّه من الرِّفق فقد أعطي حظَّه من خير الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظَّه من الرِّفق فقد حرم حظَّه من خير الدنيا والآخرة ، وحسن الخلق وصلة الرحم وحسن الجوار يزدن في الأعمار ، ويعمرن الديار))[2].

وفي هذه الأحاديث بيانُ فضل الرِّفق ، والترغيب في التَّعامل به في كل مجالات الحياة ؛ لأنه سبب لكل خير وفضلية في الدنيا والآخرة .

الخامس : ((الرِّفق يمن ، والخُرْق شؤم)) .

روي من حديث عبد الله بن مسعود :

---

(١) ((مسند أبي يعلى)) ٨ : ٢٤ (٤٥٣٠) .

(٢) ((طبقات المحدثين بأصبهان)) ٢ : ٣٢٦ (٢٠٠) .

١٤-فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((الرِّفق يُمْن ، والخُرْق شؤم)) رواه الطبراني[1].

قال الهيثمي[2]: ((فيه : المعلَّى بن عرفان ، وهو متروك)) .

السادس : ((إن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلَّهم على باب الرِّفق)) .

روي من حديث عائشة ، وجابر ، وجرير ، وابن عمر :

١٥-فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ((يا عائشة ارْفُقِي ، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلَّهم على باب الرِّفق)) .

وفي رواية : ((إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرِّفْقَ)) أخرجهما أحمد[3].

قال الهيثمي : ((رجال الرواية الثانية رجال الصحيح))[4].

---

(١) ((المعجم الأوسط)) ٥ : ٥٧ (٤٠٩٩) .

(٢) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ .

(٣) ((المسند)) ٦ : ٧١ ، ١٠٤ .

(٤) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ ، وقال العراقي في ((المغني عن حمل الأسفار في الأسفار)) ٢ : ٨٥٩ (٣١٥٤) : ((أخرجه أحمد بسند جيد ، والبيهقي في ((الشعب)) بسند ضعيف ، من حديث عائشة)) .

١٦-وعن جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ((إذا أراد الله بقوم خيراً أدخل عليهم الرِّفق)) أخرجه البزار[١].

قال الهيثمي : ((رجاله رجال الصحيح))[٢].

وقال المنذري في حديث أحمد والبزار : ((رواتهما رواة الصحيح))[٣].

وحسَّن ابن حجر إسناد البزار[٤].

١٧-وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَيُعْطي على الرِّفق ما لا يُعْطي على الخُرْق ، وإذا أحبَّ الله عبداً أعطاه الرِّفق ، ما من أهلِ بيتٍ يُحْرَمون الرِّفق إلا قد حُرِموا)) أخرجه الطبراني[٥]. وقال الهيثمي : ((رجاله ثقات))[٦].

١٨-وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : ((ما أُعطي أهلُ بيت الرِّفقَ إلا نفعهم)) رواه الطبراني[٧].

---

(١) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ٢ : ١٩١ (١٦٧٥) .

(٢) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ .

(٣) ((الترغيب والترهيب)) ٣ : ٤١٦ .

(٤) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ٢ : ١٩١.

(٥) ((المعجم الكبير)) ٢ : ٣٠٦ (٢٢٧٤) .

(٦) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٨.

(٧) ((المعجم الكبير)) ١٢ : ٣٣٠ (١٣٢٦١) .

قال الهيثمي : ((رجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن الحجّاج السّامي ، وهو ثقة))[1].

وقد بيَّنت هذه الأحاديث أنَّ من علامات محبة الله تعالى لأهل بيتٍ ما ، وإرادته الخير بهم : أن يلهمهم الرِّفق ويدخله عليهم ، فبه يتخاطبون ، وبه يتعاملون ، وبه يتواصَوْن ، وأنَّ من يُرزق هذه الخلَّة الكريمة فقد رزق مفاتيح الخير ، ومن يحرم منها فهو المحروم من خير كثير .

السابع : ((اُرْفُقْ يا أَنْجَشَةُ)) .

روي من حديث أنس ، وأمِّه أمِّ سُلَيم رضي الله عنهما :

١٩-عن أنس رضي الله عنه قال : كان النَّبيُّ ﷺ في مسيرٍ له فحَدَا الحادي ، فقال النَّبيُّ ﷺ: ((اُرْفُقْ يا أَنْجَشَةُ[2]، وَيْحكَ ، بالقوارير)) رواه البخاري ومسلم[3].

٢٠-عن أمِّ سُلَيم رضي الله عنها أنها كانت مع نساء النبي ﷺ وهُنَّ يسوقُ بهنَّ سوّاق ، فقال النبي : ((أي أنجشةُ رويدك سوقَك بالقوارير)) رواه أحمد[4].

---

(١) ((مجمع الزوائد)) ٨ : ١٩ .

(٢) أنجشة : غلام أسود حبشي ، يكنى أبا مارية ، كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ((الإصابة)) ١ : ٦٧ .

(٣) البخاري : كتاب الأدب – باب المعاريض مندوحة عن الكذب (٦٢٠٩)، ومسلم : كتاب الفضائل – باب رحمة النبي ﷺ للنساء .. ٤ : ١٨١١ (٢٣٢٣) .

(٤) ((مسند أحمد)) ٦ : ٣٧٦ .

وفي الحديث : الحضُّ على الرِّفق بالنساء خاصّة ؛ رحمةً وشفقةً بهنَّ أن يتأثَّرن ، أو يسقطن مِنْ على المطايا ويصيبهنَّ الأذى .

قال ابن بطّال : ((إن القوارير هنا كناية عن النساء الذين على الإبل ، أمره بالرِّفق في الحداء والإنشاد ؛ لأن الحداء يحثُّ الإبل حتى تسرع السير ، فإذا مشت الإبل رويداً أُمِن على النساء السُّقوط))[1].

الثامن : ((مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شيئاً فشَقّ عليهم ، فاشْقُقْ عليه ، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أُمَّتي شيئاً فرَفَقَ بهم ، فارْفُقْ به)) .

روي من حديث عائشة رضي الله عنها :

٢١-عن عائشة قالت : سمِعْتُ مِنْ رسولِ الله ﷺ يقول في بيتي هذا : ((اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شيئاً فشَقّ عليهم ، فاشْقُقْ عليه ، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أُمَّتي شيئاً فرَفَقَ بهم ، فارْفُقْ به)) أخرجه أحمد ومسلم وابن حبان[2].

---

(١) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال ٩ : ٣٢٤ .

(٢) ((مسند أحمد)) ٦ : ٩٣ ، ومسلم : كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل ... ٣: ١٤٥٨ حديث ١٩ (١٨٢٨) ، وابن حبان كما في ((الإحسان)) ٢ : ٣١٣ (٥٥٣) .

وفيه : الحثُّ على الرِّفق بالرَّعية ، ويدخل فيه كلُّ من ملكتَ أمره ، وذلك بعدم إدخال المشقة عليه ، أو تكليفه بما يرهقه ، فقد دعا ﷺ على من شقَّ على الناس بأن يشقَّ الله عليه، ودعا لمن رفق بهم بأن يرفق الله به ، ولا شيء أشدُّ على الإنسان من أن يدخل الله تعالى المشقة والعنت عليه ، ولا شيء أرأف وأرحم وألطف من أن يدخل الله تعالى الرِّفق عليه .

قال النووي : ((هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس ، وأعظم الحث على الرِّفق بهم ، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى))[1].

التاسع : ((إن هذا الدِّين متين فأوغلوا فيه برفق)) .

روي من حديث جابر وأنس رضي الله عنهما .

٢١-فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تُبَغِّضْ إلى نفسك عبادةَ الله ، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)) رواه البزار والبيهقي[2].

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ١٢ : ٢١٣.

(٢) ((مختصر زوائد مسند البزار)) ١ : ٧٨ (٢٩) ، و ((السنن الكبرى)) للبيهقي ٣ : ١٨ .

وفي إسناده (يحيى بن المتوكل أبو عقيل) وهو كذّاب[1].

٢٢-وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)) رواه أحمد[2].

قال الهيثمي : ((رجاله موثّقون ، إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنساً))[3].

وفي الحديث الحثُّ على الرِّفق في أداء العبادة ، وعدم الغلوِّ والتنطُّع فيها ، فقد جاء الإسلام باليسر ، ولم يأت بالعنت والمشقة ، ولا بالتنطُّع والغلوّ ، فالسلامة بالاتباع والاستقامة .

وما حال المتشدِّد المتنطّع إلا كحال ((الذي عطب مركوبه من شدة السير مأخوذ من البتّ ، وهو القطع – أي : صار منقطعاً ، لم يصل إلى مقصوده ، وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به))[4].

تلك هي أبرز الأحاديث التي ذكرت الرِّفق ورغَّبَتْ فيه وبيَّنت فضله ، وهي على التفصيل : تسع أحاديث ، جاءت من

---

(١) ((مجمع الزوائد)) ١ : ٦٢.

(٢) ((المسند)) ٣ : ١٩٨.

(٣) ((مجمع الزوائد)) ١ : ٦٢.

(٤) ((فتح الباري)) ١١ : ٣٠٣ عند حديث (٦٤٦٣) .

إحدى وعشرين رواية مفصَّلة ، ويمكن إيجاز ما تضمنته تلك الأحاديث فيما يلي :

١- الرفق خلق كريم يحبُّه الله تعالى .

٢- الرِّفق مطلوب في كلِّ شيء ، فيشمل الذّوات والأعراض .

٣- يكون الرِّفق بالقول والفعل .

٤- يثيب الله تعالى على الرِّفق ما لا يثيب على غيره .

٥- يعود الرِّفق على صاحبه بالنفع في الدنيا والآخرة .

٦- يحقّق الإنسان بالرِّفق من الفوائد والعوائد ما لا يحقِّقه في الأساليب الأخرى.

٧- بالرفق تزين الأمور وتجمل ، وبالعنف تشين وتقبح .

٨ -الرفق خير وسيلة للتّواصل وبلوغ المرام .

٩- الرفق خير كله ، والمحروم منه محروم من خير كثير .

١٠- التّعامل بالرِّفق بين أهل البيت دليل على أنّ الله تعالى أراد بأهل ذلك البيت خيراً .

١١- الرِّفق طريق موصلة إلى رحمة الله تعالى ولطفه بعباده.

١٢- الرِّفق مطلوب في مجال العبادات .

المبحث الثاني: نماذج من رفق النبي ﷺ

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

أي: إنك يا رسول الله في الأخلاق السّامية التي علَوْتَ قِمَّتَها، وانتهَيْتَ إلى ذِرْوتِها، إنك حقاً لعلى خلق عظيم.

فهو ﷺ عظيم في كلِّ ناحيةٍ من نواحي الأخلاق الكاملة: عظيمٌ في حلمه وسماحته، عظيمٌ في رأفته ورحمته، عظيمٌ في لطفه ولين عريكته، عظيمٌ في كريم عِشْرته، عظيمٌ في رفقه ...

ورِفقه ﷺ عامٌّ شامل، يتناول الأقوال والأفعال وسائرَ الأحوال، وإليك بعضَ النماذج التي تدل على عظيم رفقه ﷺ:

١- رفقه ﷺ في معاتبة المخطئين والمقصِّرين:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكُنِ النَّبيُّ ﷺ سبّاباً ولا فَحَّاشاً ولا لعَّاناً، كان يقولُ لأحدنا عند المَعْتَبةِ: ((مالَهُ، تَرِبَ جَبِينُه)) أخرجه البخاري[2].

---

(١) سورة القلم (٤).

(٢) البخاري: كتاب الأدب - باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفاحشاً (٦٠٣١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : صنعَ النَّبيُّ ﷺ شيئاً فترخَّص فيه ، فتَنزَّه عنه قومٌ ، فبلَغ ذلك النبيَّ ﷺ فخطَب فحمِدَ الله ثم قال : ((ما بالُ أقوامٍ يَتنزَّهون عن الشيءِ أصْنَعُه ، فوالله إنِّي لأَعْلَمُهم بالله ، وأشَدُّهم له خشيةً)) أخرجه البخاري ومسلم[1].

وعن أنس رضي الله عنه ، أنَّ نفراً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ سألوا أزواجَ النَّبيِّ ﷺ عن عملِه في السِّرِّ ؟ فقال بعضهم : لا أتزوَّجُ النساء، وقال بعضهم : لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، فقال : ((ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا ! ، لكني أصلِّي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساءَ ، فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي)) رواه البخاري ومسلم[2]، وهذا لفظ مسلم .

ولفظ البخاري : فجاء رسول الله ﷺ فقال : ((أنتم الذين قُلْتُم كذا وكذا ؟ أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له ،

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب من لم يواجه الناس بالعِتاب (٦١٠١) ، ومسلم : كتاب الفضائل – باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ٤ : ١٨٢٩ حديث (٢٣٥٦) .

(٢) البخاري : كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم : كتاب النكاح – باب استحباب النكاح ... ٢ : ١٠٢٠ حديث ٦ (١٤٠٢) .

لكنِّي...)) وهذا يخالف ما جاء عند مسلم من التعريض وعدم مواجهة القائلين بأخطائهم .

قال ابن حجر : ((ويُجاب بأنه مَنَع من ذلك عموماً جَهْراً مع عدم تعيينهم ، وخصوصاً فيما بينه وبينهم ؛ رِفْقاً بهم ، وسَتْراً لهم))[1].

٢- رفقه ﷺ في معالجة المخطئين وإرشادهم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابيٌّ فبال في المسجد ، فتناولَه النَّاسُ ، فقال لهم النَّبِيُّ ﷺ : ((دَعُوه ، وَهَرِيقُوا على بَوْلِه سَجْلاً من ماء -أو : ذَنُوباً من ماء - فإنما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين)) أخرجه البخاري[2].

قال ابن حجر : ((فيه : رأفةُ النبيِّ ﷺ وحسنُ خلقه ، قال ابن ماجه وابن حبان[3] في حديث أبي هريرة : ((فقال الأعرابي بعد أن فَقِه في الإسلام : فقام إليَّ النبيُّ ﷺ - بأبي وأمي - فلم يُؤنِّب ولم يَسُبَّ))[4]

---

(١) ((فتح الباري)) ٩ : ٧ .

(٢) البخاري : كتاب الوضوء - باب صب الماء على البول في المسجد (٢٢٠) .

(٣) ابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها - باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل (٥٢٩) ، وابن حبان في (الإحسان) ٣ : ٢٦٥ (٩٨٥) .

(٤) ((فتح الباري)) ١ : ٣٨٨ ، وابن ماجه في الطهارة - باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل (٥٢٩)

٣- رفقه ﷺ في إنكار بعض المواقف والأحوال والتصرفات :

عن عِمْرانَ بنِ حُصَين رضي الله عنه قال : كُنّا في سفرٍ مع النبي ﷺ ... الحديث ، وفيه : ثم نزل ﷺ فدعا بالوَضوء فتوضَّأ، ونودي بالصلاة فصلّى بالناس ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزلٍ لم يصلِّ مع القوم ، قال : ((ما منعك يا فلان أن تصلِّيَ مع القوم؟)) قال : أصابتني جنابة ولا ماء . قال : ((عليك بالصَّعيد فإنه يكفيك ...)) الحديث أخرجه البخاري[1].

قال ابن حجر : ((فيه : حُسْن الملاطفة ، والرِّفْقُ في الإنكار))[2].

٤- رفقه ﷺ بالغرباء والمسافرين :

عن مالك بن الحُوَيْرِث رضي الله عنه قال : أتينا النبيَّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظنَّ أنّا اشتَقْنا أهلَنا ، وسألَنا عمّن ترَكْنا في أهلنا ، فأخبرناه ، وكان رقيقاً رحيماً ، فقال : (ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم ومُروهم...) الحديث أخرجه البخاري[3].

---

(١) البخاري : كتاب التيمم – باب الصعيد الطيب وَضوء المسلم ... (٣٤٤) .

(٢) ((فتح الباري)) ١ : ٥٣٨ .

(٣) البخاري : كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم (٦٠٠٨) .

قال ابن حجر : ((قوله (وكان رقيقاً رحيماً) وهو للأكثر بقافين ، من الرِّقَّة ، وللقابِسي والأَصِيلي والكُشْمِيهَني : بفاء ثم قاف ، من الرِّفْق))[1].

٥- رفقه ﷺ في السَّيْر وقت الزِّحام :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة ، فسمع النبيُّ ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل ، فأشار بسَوْطه إليهم وقال : ((أيها الناس ، عليكم بالسكينة ، فإن البرَّ ليس بالإيضاع)) رواه البخاري[2].

قال ابن حجر : ((قوله (عليكم بالسكينة) أي : في السير ، والمراد : السير بالرِّفق وعدم المزاحمة ، قوله (فإن البرَّ ليس بالإيضاع) أي : السير السريع))[3].

وقال جابر رضي الله عنه في صفة حجَّة النبي ﷺ : ودفعَ رسولُ الله ﷺ – أي : من الموقف – وقد شنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمامَ، حتى إنَّ رأسَها لَيُصيبُ مَوْرِكَ رَحْلِه ، ويقولُ بيده

(١) ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٥٣ .

(٢) البخاري : كتاب الحج – باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة عند الإفاضة (١٦٧١) .

(٣) ((فتح الباري)) ٣ : ٦١٠ .

اليمنى : ((أيها النَّاسُ السَّكينةَ السَّكينةَ)) الحديث ، أخرجه مسلم[1].

قال النووي : ((وفي هذا استحبابُ الرِّفق في السَّيْر من الراكب بالمُشاة وبأصحاب الدوابِّ الضعيفة . قوله (ويقول بيده السكينةَ السكينةَ) مرتين منصوباً ، أي : الزموا السكينةَ ، وهي الرِّفق والطمأنينة...))[2].

وسئل أسامة – وكان رسول الله ﷺ أردفه من عرفات –: كيف كان يسير رسول الله ﷺ حين أفاض من عرفة؟ قال : كان يسير العَنَق ، فإذا وجدَ فَجْوةً نصَّ . أخرجه مسلم[3].

قال النووي : ((العَنَق والنَّصُّ : نوعان من إسراع السَّير ، وفي العَنَق نوع من الرِّفق ... وفيه من الفقه : استحباب الرِّفق في السَّير في حال الزحام ، فإذا وجد فرجة استُحِبَّ الإسراع))[4].

---

(١) مسلم : كتاب الحج – باب حجة النبي ﷺ ٢ : ٨٩٠- ٨٩١ حديث ١٤٧ (١٢١٨).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٨ : ١٨٦ .

(٣) مسلم : كتاب الحج – باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة ٢ : ٩٣٦ حديث ٢٨٣ (١٢٨٠) .

(٤) ((شرح صحيح مسلم)) ٩ : ٣٤- ٣٥ .

٦- تركه ﷺ الأمر الذي يحبُّه دفْعاً للحرج والمشقَّة عن أمّته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ((لولا أن أشُقَّ على أُمَّتي -أو : على النَّاس - لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ صلاة)) رواه البخاري ومسلم(١).

قال ابن حجر : ((وفيه : ما كان النبيُّ ﷺ عليه من الشَّفَقَةِ على أُمَّته))(٢).

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((والذي نفسُ محمَّد بيده ، لولا أن أشُقَّ على المؤمنين ما قعَدْتُ خلف سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سبيل الله، ولكن لا أَجِدُ سَعَةً أَحْمِلَهم ، ولا يجدون سَعَةً فيتَّبعوني ، ولا تَطِيبُ أنفسُهم أن يقعُدوا بعدي)) أخرجه مسلم(٣).

قال النووي : ((فيه : ما كان عليه ﷺ من الشَّفَقة على المسلمين والرَّأْفةِ بهم ، وأنه كان يترك بعضَ ما يختاره للرِّفْق بالمسلمين ، وأنه إذا تعارضَتْ المصالح بدأ بأهمِّها، وفيه :

---

(١) البخاري : كتاب الجمعة – باب السواك يوم الجمعة (٨٨٧) ، ومسلم : كتاب الطهارة – باب السواك ١ : ٢٢٠ حديث ٤٢ (٢٥٢) .

(٢) ((فتح الباري)) ٢ : ٤٣٧ .

(٣) مسلم : كتاب الإمارة – باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ٣ : ١٤٩٧ حديث ١٠٦ (١٨٧٦) .

مراعاة الرِّفق بالمسلمين ، والسَّعْيُ في زوال المكروه والمشَقَّةِ عنهم))[1].

٧-رفقه ﷺ بأصحابه في اختيار أوقات النشاط لتعليمهم وتذكيرهم :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النَّبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموعظة في الأيام ، كراهةَ السَّآمَةِ علينا . رواه البخاري ومسلم[2].

قال ابن حجر : ((فيه : رِفْقُ النَّبيِّ ﷺ بأصحابه ، وحسنُ التَّوصُّلِ إلى تعليمِهم وتفهيمِهم ؛ ليأخذوا عنه بنشاط ، لا عن ضجَرٍ ولا ملَلٍ ، ويُقْتَدى به في ذلك ؛ فإنَّ التَّعليمَ بالتَّدريج أخفُّ مُؤْنةً وأَدْعَى إلى الثبات مِن أخذه بالكَدِّ والمُغالبة))[3].

٨- منعه ﷺ من الأمر رِفْقاً بالناس :

عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال : قَدِم رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فقال المشركون : إنَّه يَقْدَمُ عليكم ، وقد وَهنَهُم حُمَّى

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ١٣ : ٢٢ .

(٢) البخاري : كتاب العلم – باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (٦٨) ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب الاقتصاد في الموعظة ٤ : ٢١٧٢ حديث ٨٢ (٢٨٢١) .

(٣) ((فتح الباري)) ١١ : ٢٣٢ عند شرح حديث (٦٤١١) .

يَثْرِبَ . فأمرَهم النبيُّ ﷺ أن يَرْمُلوا الأشواطَ الثَّلاثةَ ، وأن يَمْشُوا ما بين الرُّكْنَين ، ولم يمنَعْه أن يأمرَهم أن يَرْمُلوا الأشواطَ كلَّها إلا الإِبْقَاءُ عليهم. أخرجه البخاري ومسلم[1].

قال ابن حجر : ((قوله (إلا الإِبْقاءُ عليهم) أي : الرِّفْقُ بهم والإشفاقُ عليهم، والمعنى : لم يمنعه من أمرهم بالرَّمَل في جميع الطَّوْفات إلا الرِّفْقُ بهم))[2].

(١) البخاري : كتاب الحج – باب كيف كان بدء الرّمَل (١٦٠٢) ، ومسلم : كتاب الحج – باب استحباب الرّمَل في الطواف ... ٢ : ٩٢٣ حديث ٢٤٠ (١٢٦٦) .

(٢) ((فتح الباري)) ٧ : ٥٨٢ عند شرح حديث (٤٢٥٦) ، ونحوه عند النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ٩ : ١٣ .

المبحث الثالث : أحكام الرِّفق

بعد استعراض الأحاديث الـواردة في الرِّفـق ، والمشـتملة على أقواله ﷺ وأفعاله ، لا يتردَّد مسلم في مشـــروعيته ، وأنـه مطلوب في كل الشئون والأحوال، وفي جميع مناحي الحياة .

وعلى المسلم أن يكون رفيقاً في أمره كله : في أقواله وأفعاله وسـائر أحوالـه ؛ لأن الرِّفـق جُمّـاع الخـير ، والسـبيل الأمثـل للنجاح وتحقيق الغايات .

لكن السؤال : ما الحكم التكليفي للتّعامل بالرِّفق ؟

ويجاب عن هذا السؤال بجوابين ، أحدهما مجمل ، والآخر مفصّل .

أمـا الجـواب المجمـل : فـإن الرِّفـق حكمـه النـدب والاستحباب ، بمعنى أنه يثـاب فاعلـه ، ولا يعاقـب تاركـه ، ذلك لأنه فضيلة وأدب ، وخصلة من خصال الخير ، يسـتحبُّ التخلُّق بها ، وهذا الحكم من حيث العموم ، يدل عليه ظـواهر النصوص المتقدمة التي جاءت بصيغة الترغيب والتحبيب ، لا الحتم والإلزام .

وأما الجواب المفصَّل : فإن الرِّفق بالنَّظر إلى دوافعه وغاياته له أكثر من وجه ، ولكل وجه حكمه الخاصُّ به ، وبيـان ذلـك فيما يلي :

أولاً : إذا كان التَّعامل بالرِّفق يحقّق مصلحة ، أو هو مظنـة لتحقيق مصلحة ، ولا يترتَّـب عـلى تركـه مفسـدة ظـاهرة ، لا دينية ولا دنيوية ، فحكمه في هذه الحال النَّـدب والاسـتحباب كما تقدم ، وأمثلة هذا القسم كثيرة جداً ، وعليـه تـدُلُّ ظـواهر النصوص السابقة .

ثانياً : إذا كان التَّعامل بالرِّفق يحقّق مصلحة ، وتركه يحقِّـق مفسـدة ، أو يفـوِّت مقصـداً شرعيـاً ، أو هـو مظنّـة لـذلك ، فحكمه حينئذ الوجوب .

ومن صور هذا النوع : الرِّفق بالمريض ، وذلك بالتَّرخيص له فيما أذن له به الشارع، وخاصة إذا ترتّب على عدم الرِّفـق بـه إدخال العنت عليه ، أو تأخير شفائه ، أو إزهاق روحه .

يدلُّ عليه : حديث جـابر رضي الله عنـه قـال : خرجْنـا في سفرٍ فأصابَ رجلاً منَّا حجَرٌ فشَجَّهُ في رأسه ، ثم احتلَمَ فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رُخْصةً في التَّـيَـمُّم ؟ فقـالوا : مـا نجد لك رخصة وأنت تَقْدِرُ على المـاء ، فاغْتسَـلَ فـمات ، فلـما

قَدِمْنا على النَّبِـيِّ ﷺ أُخْـبِرَ بـذلك ، فقـال : ((قتلـوه قـتلهم الله...)) الحديث ، أخرجه أبو داود[1].

ومن صوره أيضاً : الرِّفق بالكافر رجاء دفعه ضرراً عن المسـلمين ، أو إسـلامه ، وبخاصّـة إذا ترتّـب عـلى إسـلامه مصلحة ، كأن يكون زعيم قومه .

يدلُّ عليه : رِفقُه ﷺ بثُمامة بن أُثال[2] في أسره وهـو كـافر ، فقد حوّله الرِّفق إلى مسلمٍ ناصرٍ للدِّين منافحٍ عنـه ، وتحقَّقـت بإسلامه مصلحة عظيمة ، فقد أسلم بإسلامه قومه .

وعلَّق الحافظ ابن حجر رحمه الله على حديث ثُمامة بقولـه : ((فيه : الملاطفة بمن يُرجى إسلامه من الأسـارى إذا كـان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولاسيما من يتبعه على إسـلامه العـدد الكثير من قومه))[3].

---

(١) سـنن أبـي داود : كتـاب الطهـارة – بـاب في المجـروح يتـيمم (٣٣٦) ، وفي إسناده : (الزبير بن خُرَيق) ذكـره ابـن حبـان في ((الثقـات)) ٤ : ٢٦٢ ، وقـال الـدارقطني : لـيس بـالقوي ((سـنن الـدارقطني)) ١ : ٣٥٠ ، وروي نحوه عن ابن عباس : أخرجه أبو داود (٣٣٧) ، وابن ماجه (٥٧٢) وإسناده منقطع ، قاله البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) ١ : ٢٢٠ (٢٣١) .

(٢) هو ثُمامة بن أُثال بـن النعمـان ، أبـو أمامـة اليمـامي الحنفـي ، وقصـة أسـره وإسـلامه أخرجهـا البخـاري في كتـاب المغـازي – بـاب وفـد بـني حنيفـة وحديث ثمامة بن أثال (٤٣٧٢) .

(٣) ((فتح الباري)) ٧ : ٦٩٠ .

ومن صوره أيضاً : الرِّفق بالوالدين ؛ إذ الرِّفق بهما وسيلة إلى تحقيق برِّهما الواجب شرعاً ، وما كان وسيلة إلى واجب فهو واجب ؛ إذ للوسائل حكم الغايات .

ثالثاً : إذا كان التَّعامل بالرِّفق يجلب مفسدة ، أو يفوّت مقصداً شرعياً ، فهو ممنوع وحكمه التحريم .

ومن صور هذا النوع : الرِّفق بالكافر المحارب المتعنِّت ، أو بالمنافق الذي يكيد للمسلمين ، إذا كان لا يزيدهم الرِّفقُ إلا غلواً وعناداً ، وإصراراً وطغياناً ، فإن المطلوب في حقِّ هؤلاء الشِّدَّة والعنف ، لا الرّفق واللُّطْف .

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾(١). وقال سبحانه : ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾(٢).

ومن صور الرِّفق الحرام : الرِّفق بمن يتجاوز حدود الشّرع، ويجاهر بالمعاصي علوّاً واستكباراً ، فهذا لا يزيده الرِّفق إلا جرأة على الباطل بمخالفة أمر الله تعالى وانتهاك حرماته ، فالرِّفق بمن هذا حاله ممنوع وحرام.

---

(١) سورة التوبة (٧٣) ، والتحريم (٩) .

(٢) سورة التوبة (١٢٣) .

يدُلُّ عليه حديث عائشة رضي الله عنها : ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرين قَطُّ إلا أخذَ أَيْسرَهُما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ النَّاس منه ، وما انْتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسه في شيءٍ قطّ ، إلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمةُ الله، فيَنتَقِمَ بها لله . أخرجه الشيخان[1].

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً : دلالة الآخرين على الرُّخْصة رفقاً بهم مع تخلُّف سببها ، كمن يدل غيره على التيمّم رفقاً به من غير عذر ، ويرشده إلى قصر الصلاة في غير سفر ، ويبيح له فطر رمضان من غير سبب ، وقس على هذا .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا) ... (٦١٢٦) ، ومسلم : كتاب الفضائل – باب مباعدته ﷺ للآثام ٤ : ١٨١٣ حديث ٧٧ (٢٣٢٧) .

الفصل الثالث

أنواع الرِّفق، وضوابطه، وأهدافه

المبحث الأول: أنواع الرفق

من خلال دراستي للأحاديث الـواردة في البـاب ظهـر أنَّ الرِّفق على أنواع ، وهذه الأنواع ترجع إلى اعتبارين :

فبالنظر إلى باعثه يتنوّع الرِّفق إلى : فطري ومكتسب .

وبالنَّظر إلى محلِّه يتنوّع إلى : ذاتيّ ومتعـدّ ، وهـاك البيـان في مطلبين :

المطلب الأول : الرِّفق بالنَّظر إلى باعثه

يتنوّع الرِّفـق بـالنَّظر إلى باعثـه إلى : رفـق فطـري ، ورفـق مكتسب .

فأما ما يتعلَّق بالنوع الأول ــ وهو الرِّفق الفطري ــ : فـإن الرِّفق غريزة بشرية ، وأمر جِبِلِّيٌّ في نوع الإنسان ، وهو موجود في داخل كل أحد .

ومهما بدا على أقوال وأفعال الإنسان من سلوكٍ يتنافى مـع الرِّفق ، إلا أن أصل الرِّفـق كـامن في إنسـانيته ، لـذلك تكـون

العودة إليه ممكنة غالباً ، إلا ممّن نزع الله الرحمة من قلبه ، فهو لا يُتوقَّع منه رفق ولا لطف ولا لين .

وأما النوع الثاني _ وهو الرِّفق المكتسب _ فمعلوم أن الناس متفاوتون في أخلاقهم ، فمنهم من يغلب اللُّطف واللِّين على أحواله وتصرفاته ، ومنهم من تغلب عليه الشدة والغلظة، وهذا الأخير مأمور بمجاهدة نفسه وحملها على الرِّفق ، والسَّير على خطى المترفِّقين ، فإنه إن فعل ذلك كان رفقه مكتسباً .

ومما يدُلُّ على وجود هذين النوعين _ الرِّفق الغريزيّ ، والرِّفق المكتسب _ : قولُه ﷺ لأشجِّ عبد القيس : ((إنَّ فيكَ خَلَّتَيْن يُحِبُّهما الله : الحِلْمُ وَالأَنَاةُ)) .

قال : يا رسول الله أنا أتخَلَّقُ بهما ، أمِ اللهُ جبلني عليهما ؟

قال : ((بل اللهُ جَبَلَك عليهما)) .

قال : الحمدُ لله الذي جبلني على خَلَّتَيْن يُحِبُّهما اللهُ ورسولُه. رواه أبو داود[1].

فطَرْحُ الأشجِّ هذا السؤال ، وإقرارُ النبيِّ ﷺ عليه ، يشعر بأن الأناة والرِّفق واللُّطْف ، وكذا الحلم وسائر الأخلاق

---

(١) أبو داود : كتاب الأدب – باب في قُبْلة الرِّجْل (٥٢٢٥) عن الزارع وكان في وفد عبد القيس ، وحسَّن المنذريُّ هذا الحديث ، وأصله عند مسلم .

الكريمة ، منها ما هو جِبِلِّيٌّ غريزي ، ومنها ما هو مكتسب ، والله أعلم .

ومن صور الرِّفق الجِبِلِّيّ الغريزي : رِفْق الأم بولدها ، وهذا ظاهر حتى في غير نوع الإنسان .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((جعل الله الرَّحمةَ في مئة جزء ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق ، حتى ترفعَ الفرسُ حافرَها عن ولدها ؛ خشية أن تُصيبَه)) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ الله خلق يومَ خلقَ السماواتِ والأرضَ مئةَ رحمةٍ ، كلُّ رحمةٍ طِباقُ ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمةً ، فبها تَعْطِفُ الوالدةُ على ولدها ، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ ، فإذا كان يوم القيامة أكملَها بهذه الرَّحمة)) رواه مسلم[2].

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب جعل الرحمة في مئة جزء (٦٠٠٠) ، ومسلم : كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله تعالى ... ٤ : ٢١٠٨ حديث ١٧ (٢٧٥٢) .

(٢) مسلم : كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله تعالى ... ٤ : ٢١٠٩ حديث ٢١ (٢٧٥٣) .

وهذا النوع من الرِّفق دوافعه ـ كما ترى ـ غريزية نفسية ، يستوي فيه الإنسان وغيره من المخلوقات ، لكن إذا استعمله الإنسان على وفق الشرع احتاج منه إلى اكتساب وعلم ونية ، فيكون بهذا الاعتبار شرعياً .

وإذا ضعف الرِّفق الجِبِلِّيُّ عند الإنسان لاعتبارات متعدِّدة ، احتاج إلى من يذكّره به ، يدل على ذلك :

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسولُ الله ﷺ صوتَ خصوم بالباب عاليةٍ أصواتُهما ، وإذا أحدُهما يَسْتَوْضِعُ الآخرَ ، ويَسْتَرْفِقُه في شيء ، وهو يقول : والله لا أَفْعَلُ . فخرج عليهما رسولُ الله ﷺ فقال : ((أين المُتَأَلِّي على الله لا يفعلُ المعروفَ ؟)) . فقال : أنا يا رسول الله ، وله أَيُّ ذلك أَحَبَّ . أخرجه البخاري ومسلم[1].

ومعنى قولها : ((إذا أحدُهما يَسْتَوْضِعُ الآخرَ ويَسْتَرْفِقُه)) أي : يطلب منه أن يَضَعَ عنه بعض الدَّيْن ويَرْفُقَ به في الاستيفاء والمطالبة[2].

(١) البخاري : كتاب الصلح – باب هل يشير الإمام بالصلح (٢٧٠٥) ، ومسلم : كتاب المساقاة – باب استحباب الوضع من الدَّين ٣ : ١١٩٢ حديث ٢٠ (١٥٥٨).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٠ : ٢٢٠.

وقولـه ((فلـه أيُّ ذلـك أحـبَّ)) أي : مـن الوَضْـعِ أو الرِّفْق[1].

قال ابن حجر : ((في هـذا الحـديث : الحـضُّ عـلى الرِّفْـق بالغَرِيم والإحسان إليه بالوَضْع عنه ...))[2].

٢-عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن زوج بَرِيرةَ كـان عبـداً يقال له : مُغِيثٌ، كأني أنظر إليـه يطـوفُ خلفَهـا يبكـي، ودموعُـه تَسيلُ على لحيته ، فقال النَّبيُّ ﷺ لِعَبَّاس : ((يا عَبَّاس، ألا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرةَ ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرةَ مغيثاً)).

فقال النَّبيُّ ﷺ : ((لو راجَعْتِهِ)) .

قالت : يا رسول الله تَأْمُرُني ؟

قال : ((إنما أنا أشفع)) .

قالت : لا حاجةَ لي فيه . رواه البخاري[3].

قال ابن حجر : ((وفيه ..... استحبابُ شفاعةِ الحـاكم في الرِّفق بالخَصْم ، حيث لا ضررَ ، ولا إلزامَ ، ولا لومَ عـلى مـن خالفَ ، ولا غَضَبَ ، ولو عَظُمَ قَدْرُ الشّافع))[4].

---

(١) ((فتح الباري)) ٥ : ٣٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البخاري : كتاب الطلاق – باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة (٥٢٨٣) .

(٤) ((فتح الباري)) ٩ : ٣٢٤ عند شرح حديث (٥٢٨٤) .

والاستدلال بهذين الحديثين ونحوهما ظاهر على التذكير بالرِّفق لَمن غفل عنه ، وغلبت عليه الشدَّة والقسوة ، ويكون الرِّفق بالنسبة إلى هؤلاء وأمثالهم إذا هم أجابوا: رفقاً مكتسباً .

المطلب الثاني : الرِّفق بالنَّظر إلى محلِّه

يتنوَّع الرِّفق بالنظر إلى محلِّه إلى : ذاتيّ ومتعدّ ، وأعني بالرِّفق الذاتي: رفق الإنسان بنفسه ، وبالرِّفق المتعدّي : رفقه بالآخرين .

فأما ما يتعلَّق بالنوع الأول (الرِّفق بالنفس) : فقد تقرّر فيما سبق أن الرِّفق خيرٌ كله ، فيكون أولى الناس بهذا الخير نفسُك التي بين جنبيك ، عملاً بقوله ﷺ : ((ابْدَأْ بِنَفْسِكَ...)) الحديث أخرجه مسلم(1).

ثم إن الرِّفق إذا كان مطلوباً عند التّعامل مع الآخر ، فهو في حقِّ النفس مطلوب بالأولى .

وقد جاء الإسلام يؤكّد على ضرورة الرِّفق بالنفس من خلال تعاليمه وأحكامه ، فقد عُنِي بحفظ النَّفس وصيانتها ، وحثَّ على القيام بالضرورات التي تصلحها ، وأوجب عليها

---

(1) مسلم : كتاب الزكاة – باب الابتداء في النفقة بالنفس ... ٢ : ٦٩٢ حديث ٤١ (٩٩٧) .

التكاليف التي لا مشقة فيها ولا عنت ، وإليك بعض جوانب الرِّفق بالنفس من خلال الأحاديث النبوية الشريفة :

١ -المحافظة على النفس ، وحرمة الاعتداء عليها بقتل أو دونه:

عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : ((مَنْ تَردَّى مِنْ جبل فقتلَ نَفْسَه ، فهو في نارِ جَهَنَّمَ يَتَردَّى فيه خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً ، ومن تَحَسَّى سُمّاً فقتلَ نفسَه ، فَسُمُّه في يده يَتَحَسَّاهُ في نارِ جهنَّمَ خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً ، ومَنْ قتلَ نَفْسَه بحديدةٍ ، فحديدتُه في يدِه يَجَأُ بها في بطنِه في نارِ جهنَّمَ خالداً مُخَلَّداً فيها أبدًا)) رواه البخاري ومسلم[1].

فقد اشتمل الحديث على تحريم قتل النفس أياً كانت الدواعي والأسباب ، وبأي وسيلة ، ولا ريب أنَّ قتل النفس من مظاهر العنف والقسوة التي لا تتلاءم مع الرِّفق المطلوب في حقِّ النفس ، لذا جاء التحريم لهذا الفعل ، والوعيد الشديد لمن أقدم على هذا الفعل .

---

(١) البخاري : كتاب الطب – باب شرب السُّمّ ... (٥٧٧٨)، ومسلم : كتاب الإيمان – باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ... ١ : ١٠٣ حديث ١٧٥ (١٠٩).

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ : ((لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصدٍ منه للقتل في الحرص على الدنيا وطلب المال ، بأن يحمل نفسَه على الغرر المؤدّي إلى التَّلف ، ويحتمل أن يقال ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ : في حال ضجرٍ أو غضب ، فهذا كله يتناوله النهي))[2].

٢-إعطاء النفس ما تحتاجه من الأمور الضرورية :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال لي النبيُّ ﷺ: ((أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تقومُ اللَّيل وتصوم النهار؟)) .قلتُ : إني أفعل ذلك . قال : ((فإنك إذا فعلتَ ذلك هجمَتْ عينُك وَنفِهَتْ نفسُك[3]، وإنَّ لنفسك حقاً ، ولأهلك حقاً ، فصُمْ وأفطِرْ ، وقُمْ ونَمْ)) أخرجه البخاري ومسلم[4].

---

(١) سورة النساء (٢٩- ٣٠) .

(٢) ((الجامع لأحكام القرآن)) ٥ : ١٥٦- ١٥٧ .

(٣) معنى (هجمت عينك) أي : غارَتْ ودخلَتْ في موضعها . و (نَفِهَتْ نفسُك) أي : أعْيَتْ وكلَّتْ . ((النهاية)) ٥ : ١٠٠ ، ٢٤٧.

(٤) البخاري : كتاب التهجد –باب (٢٠) حديث (١١٥٣) ، ومسلم : كتاب الصيام –باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به ... ٢ : ٨١٣ حديث ١٨٢ (١١٥٩) .

قال ابـن حجـر في معنـى (وإنَّ لنفسـك عليـك حقـاً) : ((أي : تعطيها ما تحتاج إليـه ضرورةُ البشــرية ممـا أباحـه الله للإنسان من الأكل والشرب والراحـة التـي يقـوم بهـا بدنـه ؛ ليكون أعون على عبادة ربه ...))[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ ذُكِر له صَوْمي فدخلَ عَليَّ ، فألقيْـتُ لـه وسـادةً مـن أَدَمٍ ، حَشْوُها لِيفٌ ، فجلس على الأرض ، وصارَتِ الوِسـادةُ بينـي وبينَه . فقال : ((أما يَكفيكَ من كلِّ شهرٍ ثلاثةُ أيَّامٍ ؟)) . قال: قلتُ يا رسولَ الله ...

قال : ((خمساً ؟)) . قلتُ : يا رسولَ الله ...

قال : ((سبعاً ؟)) . قلتُ : يا رسولَ الله ...

قالَ : ((تسعاً ؟)) . قلتُ : يا رسولَ الله ...

قال : ((إحدى عشرة)) .

ثـم قـال النَّبـيُّ ﷺ : ((لا صـومَ فـوق صـوم داود عليـه السَّلام: شطر الـدَّهرِ ، صُـمْ يومـاً ، وأفطِـرْ يومـاً)) أخرجـه البخاري ومسلم[2].

---

(١) ((فتح الباري)) ٣ : ٤٧ .

(٢) البخاري : كتاب الصوم – باب صوم داود عليه السلام (١٩٨٠) ، ومسلم : كتاب الصيام – باب النهي عن صوم الدهر ... ٢ : ٨١٧ حديث ١٩١ (١١٥٩) .

قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث : ((بيانُ رِفْقِ رسول الله ﷺ بأمته وشفقتِه عليهم ، وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم ، وحثُّه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه ، ونهيُهم عن التعمُّق في العبادة ؛ لما يخشى من إفضائه إلى الملل المفضي إلى الترك أو تركِ البعض ، وقد ذمَّ الله تعالى قوماً لازموا العبادة ثم فرّطوا فيها))[1].

ونقل عن المُهلَّب قوله : ((كان داود عليه السلام يُجِمُّ نفسَه بنوم أول الليل ، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه : هل مِنْ سائلٍ فأُعطيَه سُؤْلَه ، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نَصَبِ القيام في بقية الليل ... وإنما صارت هذه الطريقة أحبَّ من أجل الأخذ بالرِّفْق للنَّفْس التي يُخْشَى منها السآمة ، وقد قال ﷺ : ((إنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا[2])) ، والله يُحِبُّ أن يُدِيمَ فضلَه ويوالي إحسانَه ، وإنما كان ذلك أرفق ؛ لأن النوم بعد القيام يُرِيح البدن ، ويُذْهِبُ ضررَ السَّهر ، وذُبُولَ الجسم، بخلاف السَّهَرِ إلى الصَّباح))[3].

---

(١) ((فتح الباري)) ٤ : ٢٦٥ .

(٢) هو جزء من حديث رواه البخاري : كتاب اللباس – باب الجلوس على الحصير ونحوه (٥٨٦١) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١ : ٥٤٠ حديث ٢١٥ (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) ((فتح الباري)) ٣ : ٢١ .

٣-ترفيه النَّفْس باختيار الطَّيِّب لها مما أباحه الله تعالى :

عن أبي سعيد الخُدْريِّ وعن أبي هريرة رضي الله عنهما ، أَن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبرَ ، فجاءَه بِتَمْرٍ جَنِيبٍ[١] ، فقال رسول الله ﷺ : ((أَكُلُّ تمرِ خيبرَ هكذا ؟)) . قال : لا والله يا رسول الله ، إنَّا لَنأخذُ الصَّاعَ من هذا بالصَّاعين ، والصَّاعين بالثَّلاثة . فقال رسول الله ﷺ : ((لا تفعَلْ ، بِعِ الجَمْعَ بالدَّراهمِ ، ثم ابْتَعْ بالدَّراهمِ جَنِيباً)) رواه البخاري ومسلم[٢]. قال ابن حجر : ((فيه : جواز الرِّفق بالنفس ، وتركُ الحمل على النفس لاختيار أكل الطّيّب على الرديء ، خلافاً لمن منع ذلك من المتزَهِّدين))[٣].

وقال ابن الجوزي : ((لا ينبغي للإنسان أن يَحْمِلَ على بدنه ما لا يُطِيق ، فإنَّ البدنَ كالراحلة إن لم يُرْفَقْ بها لم تَصِلْ بالرّاكب ، فترى في الناس مَن يتزهَّد وقد ربَّى جسدَه على التَّرف ، فيُعْرِض عمّا أَلِفَه ، فتتَجَدَّدُ له الأمراض ، فتقطَعُه عن كثيرٍ من العبادات))[٤].

(١) الجَنيب هو : الطيب ، أو هو نوع جيد من التمر . ((النهاية)) ١ : ٣٠٤ .

(٢) البخاري : كتاب البيوع – باب إذا أراد بيعَ تمر بتمر خيرٍ منه (٢٢٠١ – ٢٢٠٢) ، ومسلم : كتاب المساقاة – باب بيع الطعام مثلاً بمثل ٣ : ١٢١٥ حديث ٩٥ (١٥٩٢) .

(٣) ((فتح الباري)) ٤ : ٤٦٨ .

(٤) ((صيد الخاطر)) ص ٣٩١ .

وأما ما يتعلق بالنوع الثاني -الرِّفق بالآخرين -: فيراد به : لينُ الجانب ، والتَّعاملُ بلطف ورحمة مع كلِّ أحد : صغيراً كان أو كبيراً ، رجلاً أو امرأة ، قوياً أو ضعيفاً ، صاحبَ سلطة أو غير ذلك ، ما لم يفوّت مقصداً شرعياً ، عملاً بقول الله تعالى مخاطباً المصطفى ﷺ : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقولِه سبحانه : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[2]، وقولِه جلَّ وعلا :﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وقد صحَّ عن النبي ﷺ في حديثٍ طويل أنه قال : ((وكونوا عباد الله إخواناً))[4]

---

(١) سورة الحِجْر (٨٨) .

(٢) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٣) سورة التوبة (١٢٨) .

(٤) تمام الحديث : ((إيَّاكُم والظَّنَّ ، فإِنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ ، ولا تَحَسَّسُوا ، ولا تَجَسَّسُوا ، ولا تَحاسَدُوا ، ولا تدابَرُوا ، ولا تَباغَضُوا ، وَكُونوا عبادَ اللّه إخواناً)) . البخاري : كتاب الأدب – باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر .. (٦٠٦٤)، ومسلم : كتاب البر والصلة – باب تحريم الظن والتجسس ... ٤ : ١٩٨٥ حديث ٢٨ (٢٥٦٣) ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

قال النـووي : ((أي : تعـاملوا وتعـاشروا معاملـة الإخـوة ومعاشرتهم في المودّة والرّفـق والشـفقة والملاطفـة والتعـاون في الخير ونحو ذلك ، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال))[1] .

وصور الرِّفق بـالآخرين ومجالاتـه كثـيرة ، يـأتي بيانهـا في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى .

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٦ : ١١٦.

المبحث الثاني :ضوابط الرِّفق

للرِّفق ضوابط لا ينبغي تجاهلها أو التّهاون فيها ؛ لما لها من الأهمية ، فبها يتمكّن الفرد من استعمال الرِّفق استعمالاً سليماً ، وبدونها ربما فُسِّر الرِّفق تفسيراً خاطئاً ، وبدا فاعله في مظهر غير لائق ، وأدّى رِفقه هذا إلى نتائج سلبية .

وهذه الضوابط مستنبطة من النصوص ، ومن حكمة مشروعية الرِّفق ، ومن أبرزها :

١ -أن يكون الرِّفق ليناً من غير ضعف :

فاللّين مع الضعف عَجْزٌ ، والإسلام ينهى أتباعه وينأى بهم عن الظهور بمظهر العَجْز ، ففي الحديث : ((استعِنْ بالله ، ولا تَعْجِزْ ...))[١].

وكان من دعائه ﷺ : ((اللَّهمَّ إِني أَعوذ بك من العَجْزِ والكسَلِ ...)) الحديث[٢].

---

(١) نصُّ الحديث : ((المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت ، كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَرُ الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) أخرجه مسلم : كتاب القدر – باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٤ : ٢٠٥٢ حديث (٣٤ ـ ٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) نصُّ الحديث : ((اللَّهمَّ إِني أَعوذ بك من العَجْزِ والكسَلِ والجُبْنِ والهرم ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المَحْيا والمماتِ ، وأعوذُ بك من عذابِ القبر)) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير – باب ما يتعوذ من الجبن (٢٨٢٣) ،

كما أن القوّة مع العنف غِلْظة وفظاظة ، والله تعالى يقول للمصطفى ﷺ : ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[1].

فلا يُتصوَّر الرِّفق من الفظِّ الغليظ ، كما لا يتحقَّق المقصود من رفق العاجز الضعيف ، وأما اللِّين مع القوّة فهو خير الأمور وأوسطها ، وهو الرِّفق المطلوب .

٢-أن يكون الرِّفق تيسيراً في الدين من غير تفريط فيه :

فليس من الرِّفق دعوة الناس إلى التساهل في الدين ، والعدولِ عن السبيل القويم، وليس منه أيضاً التسامح مع من يترك المأمورات ، أو يقترف المحظورات ، أو يعطل الحدود أو يتهاون فيها ؛ لما في ذلك من إثم كبير .

وفي الحديث : ((ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرَيْن إلا اختار أيسرَهُما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه[2])) .

ومسلم : كتاب الذكر والدعاء – باب التعوذ من العجز والكسل ٤ : ٢٠٧٩ حديث ٥٠ (٢٧٠٦) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(١) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٢) هذا جزء من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : مَا خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرَيْن إلا أخذ أَيسرَهُما ، مالم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعدَ النَّاس منه ، وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسه ، إلا أن تُنْتهَكَ حُرْمةُ الله فينتقِمَ لله بها . أخرجه البخاري : كتاب المناقب – باب صفة النبي

وأعظم الإثم في ترك واجب ، أو فعل محرّم ، فهذا لا رفـقَ فيه ولا تسامح .

وإذا كان الرِّفـق محمـوداً ومفيـداً في أكثـر الأحـوال وأغلـب الأمور، فإن الحاجة إلى الشدَّة والقوة قد تقع في بعض الأحيان.

قال عقبة بن عامر رضي الله عنه : أُهدي لرسول الله ﷺ فرُّوجُ حريرٍ[1] فلَبِسَه ، ثم صلّى فيه ، ثم انصرف فنـزعه نزعاً شديداً – كالكاره له – ثم قال: ((لا ينبغي هذا للمتقين))[2].

قال ابن حجر : ((قوله (فنـزعه نزعا شديداً) زاد أحمد في روايته : (عنيفاً) أي: بقوة ومبادرةٍ لذلك ، على خلافِ عادته في الرِّفق والتّأنِّي ، وهو مما يؤكِّدُ أن التحريم وقع حينئذ))[3].

وقال البخاري : باب ما يجوز من الغضب والشِّدَّة لأمر الله تعالى[4].

ﷺ(٣٥٦٠) ، ومسلم : كتاب الفضائل – باب مباعدته ﷺ للآثام ... ٤ : ١٨١٣ حديث ٧٧ (٢٣٢٧) .

(١) هو القَباء الذي فيه شَقٌّ من خلفه ((النهاية)) ٣ : ٤٢٣ ، والقَباء : ثوب يلبس فوق الثيابِ أو القميصِ كما في ((المعجم الوسيط)) (ق ب و) .

(٢) البخاري : كتاب اللباس – باب القباء وفروج الحرير ... (٥٨٠١) .

(٣) ((فتح الباري)) ١٠ : ٢٨٢ .

(٤) البخاري : كتاب الأدب – باب ما يجوز من الغضب والشدة .. ١٠ : ٥٣٣ .

وعلّق ابن حجر قائلاً : ((كأنه يشير إلى أن الحديث الوارد في أنه ﷺ كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حقِّ نفسِه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يتمثَّلُ فيه أمر الله من الشِّدَّة ...))[1].

٣-أن يستعمل الرِّفق في موضعه استعمالاً حكيماً :

والاستعمال الحكيم للرِّفق بوضعه في المكان الصحيح ، وللحالات التي يناسبها .

أما الحالات التي لا يصلح لها الرِّفق : فمن الحكمة استعمال الشِّدَّة فيها ، ومن غير الحكمة تكلُّف الرِّفق لها .

وعلَّق النووي رحمه الله عند قوله ﷺ : ((يا عائشة إن الله يحب الرِّفقَ في الأمر كلِّه)) بقوله : ((هذا من عظيم خلُقه ﷺ وكمالِ حِلْمه ، وفيه حثٌّ على الرِّفق والصبر والحلم وملاطفة الناس ، ما لم تدع حاجةٌ إلى المخاشنة))[2].

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله : ((لما كانت الطِّباع إلى العنف والحِدَّة أميل ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرِّفق أكثر ، فلذلك كثَّر الشرع على جانب الرِّفق دون العنف ، وإن كان العنف في محلِّه حسناً ، كما أن الرِّفق في محلِّه حسن...))[3].

---

(١) ((فتح الباري)) ١٠ : ٥٣٤ .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١٤ : ١٤٥ .

(٣) ((إحياء علوم الدين)) ٣ : ١٩٨ .

ويترتَّب على وضع الرِّفق في غير موضعه من النتائج السلبية ، ما يترتَّب على وضع العنف في غير موضعه ، ناهيك عن أنه تصرُّف يُفرزه الضَّعف والذُّلُّ والهوان ، أو انعكاسٌ لعدم المبالاة ، وضعفِ الشُّعور بالمسئولية .

فالرِّفق بالعدوِّ الكافر الذي بغى وظلم ، وسلب ونهب ، وقتّل الأبرياء ، واغتصب الديار ، ودنَّس المقدسات ، يعدُّ إساءة كبيرة ، ومخالفة صريحة لقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[1] .

وكذلك الرِّفق بمن يعيث فساداً في الأرض ، يروِّع الناس، ويهدِّد الأمن ، سواء أكان الرفق بتهوين جريمته ، أم بتخفيف عقوبته ، أم بالعفو عنه ، فهذا لا يزيده الرفق إلا إصراراً على جرائمه ، ويعدُّ إساءةً ، وتصرُّفاً غير حكيم .

وكذلك الرِّفق بالمسيء بترك تأديبه ، وبالمقصّر بترك محاسبته ، ونحو ذلك ..

كل هذا يعدُّ مذموماً ، وفيه سوء استعمال للرِّفق ، وضعف وهوان ممن تكلّفه في هذه الحالات التي لا يصلح لها .

---

(١) سورة التوبة (٧٣) والتحريم (٩) .

ومن هذا الباب : أن يترك الجرّاح مِبْضَعه في حالةٍ تستلزم الجراحة ، أو لا يستأصل عضواً مريضاً ربما تضاعفت الحالة بالإبقاء عليه ، أو لا يعطي مريضه الدواء المُرَّ ، أو غير ذلك .

يقول الزمخشري : ((من الأمور أمور لا يصلح فيها الرِّفق، إلا الشِّدَّة : كالجرح يعالج ، فإذا احتيج إلى الحديد لم يكن منه بُدّ))[1].

فهذه الأمور وما في معناها يطلب فيها العزم والحزم ، لا الرِّفق والرقة.

وقبل هذا وبعده : على المسلم أن يكون حكيماً ، فيضع الشدة موضعها ، واللين موضعه .

قال سفيان الثوري لأصحابه : تدرون ما الرِّفق ؟ قالوا : قل يا أبا محمد. قال : أن تضع الأمورَ في مواضعها : الشدَّةَ في موضعها ، واللينَ في موضعه ، والسيفَ في موضعه ، والسوطَ في موضعه[2].

وحاصل ما سبق أن للرِّفق ضوابط تناسبه لابد من مراعاتها حتى تتحقّق أهدافه وغاياته .

---

(١) نقلاً عن ((فيض القدير)) للمناوي ٤ : ٥٩.

(٢) ((إحياء علوم الدين)) ٣ : ١٩٨ .

المبحث الثالث : أهداف الرِّفق

يتطلَّعُ المسلم من خلال تحلِّيه بـالرِّفق إلى تحقيـق جملـة مـن الغايات والأهداف ، أجملها في النقاط التالية :

١ -تحقيق الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ :

حينما يتحلّى المسلم بالرِّفق استجابة لأمر الله تعالى ، وتأسّياً بحال رسول الله ﷺ وقاله ، يكـون قـد بلـغ الغايـة ، وحقّـق أعظم هدف يتنافس فيه المتنافسون ، ويتسابق إليـه المؤمنـون ، ألا وهو تحقيق الطاعة لله ولرسوله ﷺ ، قـال سـبحانه :﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1].

٢ -تقديم الإسلام في صورته الصحيحة :

إن وفرة النُّصوص التي تحثُّ على الرِّفق وتُرَغِّب فيه تعطي انطباعاً عاماً عن الإسلام بأنه دين الرِّفق واللُّطْف ، وتجعل من تلك الأخلاق الكريمة سمة بارزة لهـذا الـدّين ، وصـفة مميِّـزة لأتباعه ، وحينما يلتزم المسلم بتلك الأخـلاق : الرِّفـق واللِّـين واللُّطْف والأناة من خلال سلوكه وممارسـاته ومعاملاتـه مـع الآخرين ، تظهر من خلاله هذه السِّمة ، فيكون المرآة الصـادقة

(١) سورة الأحزاب (٧١) .

التي تعكس الإسلام الحقيقي ، ويدل على هذا قصة الأعرابي الذي بال في المسجد .

٣-تحبيب الناس بشرائع الإسلام وتكاليفه :

لم يرسل النبيُّ ﷺ رسولاً ولا معلِّماً إلا أوصاه بأن يترفَّق ولا يتشدّد ، وأن ييسّر ولا يعسّر ، وأن يبشِّر ولا ينفِّر ، وبهذا انشرحت القلوب ، وأحبَّ الناس الإسلام ، ودخلوا فيه أفواجاً .

عن سعيد بن أبي بُرْدة ، عن أبيه ، عن جدّه قال : لَمَّا بعثَه رسولُ الله ﷺ ومعاذَ بنَ جبل قال لهما : ((يسِّرا ولا تُعَسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ...)) الحديث[1].

وعن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ: ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وسكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا))[2].

قال ابن حجر : ((في الحديث : الأمر بالتيسير في الأمور ، والرِّفقُ بالرَّعِيَّة ، وتحبيبُ الإيمان إليهم ، وتركُ الشِّدَّة ؛ لئلا تَنْفِرَ قلوبُهم ، ولاسيما فيمن كان قريبَ العهد بالإسلام ، أو

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا) ... ١٠ : ٥٤١ (٦١٢٤) .

(٢) ((صحيح البخاري)) (٦١٢٥) .

قاربَ حدَّ التكليفِ من الأطفال ؛ ليتمكَّنَ الإيـمانُ مـن قلبـه، ويتمرَّنَ عليه ، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادتُه لا يُشدِّدُ عليها ، بل يأخذها بالتدريج والتيسير، حتى إذا أنست بحالة داومَتْ عليهـا نقلَهـا لحـالٍ آخـر ، وزاد عليها أكثر من الأولى حتى يصل إلى قدر احتمالها ، ولا يكلفهـا بما لعلَّها تَعْجِزُ عنه))[1].

٤-بلوغ الغاية بأيسر السبل :

من المعلوم أن تقديمَ أيِّ فكرة ، أو عـرضَ أيِّ مسـألة ، أو سؤالَ أيِّ حاجة ، إذا ما تمَّ بأسلوب رفيق لطيف ، حقّق قبولاً ونجاحاً ، وما ذاك إلا لأن الرِّفق مفتاح القلوب .

فالتَّعامل بالرِّفق هو الاختيار الأمثـل لتحقيـق الغايـات ، والوصول إلى النتائج المرجوّة من النّجاح وتحقيـق الأهـداف ، بأيسر السُّبُل ، وبدون مشقَّة وعناء ، يدلُّ عليه قوله ﷺ: ((إنَّ الرِّفْـقَ لا يكـونُ في شيءٍ إلا زانَـهُ ، ولا يُنْـزَعُ مـن شيءٍ إلا شانَهُ))[2].

(١) ((فتح الباري)) ١٣ : ١٧٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥١ .

٥-توطيد العلاقات وتقوية الأواصر :

تطرأ في حياة الإنسان بعض الأمور التي ليست بحسبانه ، فإذا ما استخدم لها الحكمة ، وعالجها برفق ، اجتازها بنجاح وتفوُّق ، وذلك لما في الرِّفق من أسرار وخصائص عظيمة ، فبسببه تهوي الحواجز ، وتُخْتَصر المسافات ، وتقوى الصِّلات ، وتزول الضغائن والأحقاد من القلوب ، ويحصل المطلوب ، أما العُنْف والشدَّة والغلظة فلا تحَقِّق إلا النُّفْرة ، والبُغْض ، والقطيعة .

قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

وقد ضرب رسولُ الله ﷺ أروعَ الأمثلة في معالجة المواقف الطارئة بالرِّفق ، حينما قام أعرابيٌّ جافٍ أو حديثُ عهد بالإسلام فبال في مسجده ! فتناولَه النَّاسُ .

فقال لهم النبيُّ ﷺ : ((دَعُوه ، وهَرِيقُوا على بوله سَجْلاً من ماء - أو : ذَنُوباً من ماء - فإنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين ، ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرين)) رواه البخاري[2].

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٢)تقدم تخريجه ص ٥٢ .

وفي رواية له : فزجره الناس ، فنهاهم النبي ﷺ[1] .

والتفت ﷺ للأعرابي قائلاً : ((إنَّ هذه المساجدَ لا تصلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذَرِ ، إنما هي لِذكْرِ الله عزَّ وجل والصَّلاة وقراءةِ القرآن)) رواه مسلم[2] .

وعن معاويةَ بنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ قال : بينا أنا أصلِّي مع رسولِ الله ﷺ إذْ عطس رجلٌ من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله . فرماني القومُ بأبصارِهم ، فقلتُ : واثُكْلَ أُمِّيَاهْ ! ما شأنُكم تنظرون إليَّ ؟! . فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذِهم ، فلمّا رأيتُهم يُصَمِّتُونَني لَكنِّي سَكَتُّ ، فلمّا صلَّى رسول الله ﷺ - فبأَبي هو وأمّي ، ما رأيْتُ مُعَلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه، فو الله ما كهرني ، ولا ضربَني ، ولا شتمَني - قال : ((إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ النَّاسِ ، إنَّما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القرْآنِ)) ... الحديث رواه مسلم[3] .

---

(١) البخاري : كتاب الوضوء – باب صبِّ الماء على البول في المسجد (٢٢١) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه .

(٢) مسلم : كتاب الطهارة – باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد .. ١ : ٢٣٧ حديث ١٠٠ (٢٨٥) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب تحريم الكلام في الصلاة .. ١ : ٣٨١ حديث ٣٣ (٥٣٧) .

الفصل الرابع
مجـالات الرِّفـق

اقترن الرِّفقُ في كلام المصطفى بالخير وجـوداً وعـدماً ، فقـد تقدَّم قوله ﷺ : ((مَنْ أُعْطِيَ حَظَّه مِنَ الرِّفْقِ فقَدْ أُعْطِيَ حظَّه من الخير ، ومَنْ حُرِمَ حظَّه من الرِّفْق فقَدْ حُرِم حظَّه من الخير))[1].

فالرِّفق خير خالص ، والإنسان الرَّفيـق محـلُّ ذلـك الخـير ومصدره .

وفي مجالات الرِّفـق يقـول ﷺ : ((إن الله يُحِـبُّ الرِّفـقَ في الأمرِ كلِّه))[2].

فليس للرِّفق حدود تقيّده ، ولا مجال واحد يختصُّ به ، فهو مطلوب في كل الشئون والأحوال ، والحياةُ بكلِّ تفاصيلها ميدان له ، وهي تحتاج إليه .

وأبرز مجالات الحيـاة التـي تحتـاج إلى الرفـق ثلاثـة ، هـي : العبادات ، والصِّلات الأسرية ، والعلاقات العامة ، وسأعرض في هذا الفصل لتلك المجالات التي اهتمَّ بها الإسـلام ، مسـلِّطاً الضوء على أبرز صورها ، وذلك في ثلاثة مباحث .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٥ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤ .

المبحث الأول : الرِّفق في مجال العبادات

الإسلام دين اليُسْر ، فلا عنَتَ فيه ولا مشقة، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]، وتمتاز تكاليفه بالرحمة ، فلا تضييق فيها ولا تعجيز، قال جلَّ وعلا : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] ، ولا تكليفَ فيه إلا بما يطاق ، قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، وبهذا غدا الرِّفق مقصداً من مقاصد هذا الدِّين، وسمة بارزة فيه، وخصيصة من خصائص تكاليفه الشرعية .

فهو مطلوب حين أداء العبادة ، صلاةً كانت أو صياماً أو زكاة أو حجاً أو غير ذلك ، فريضة كانت أو تطوعاً ، قولية كانت أو عملية ، سرية كانت أو جهرية ، فردية كانت أو جماعية ، وإليك بعضَ الأمثلة الدالّة على ذلك :

---

(١) سورة البقرة (١٨٥) .

(٢) سورة الحج (٧٨) .

(٣) سورة البقرة (٢٨٦) .

١ -النّهْي عن التّشديد في العبادة رفقاً بالنفس :

عن عائشةَ رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : ((يا أيها النَّاس خذوا من الأعمال ما تُطِيقون ، فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله ما دامَ وَإِنْ قَلَّ)) أخرجه البخاري ومسلم[١].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((... سَدِّدُوا وقارِبُوا ، واغْدُوا ورُوحُوا ، وشيْءٌ من الدُّلْجة . والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغوا)) الحديث ، رواه البخاري[٢].

قال ابن حجر : ((قوله (وقاربوا) أي : لا تُفْرِطوا فتُجْهِدوا أنفسَكم في العبادة؛ لئلا يفضيَ بكم ذلك إلى المَلال ، فتتركوا العمل فتُفَرِّطوا)) .

وقال أيضاً : (قوله (واغدوا وروحوا ...) ....فيه إشارة إلى الحثِّ على الرِّفْق في العبادة)[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجدَ وحَبْلٌ ممدودٌ بين ساريتَيْن فقال : ((ما هذا ؟)) .

---

(١) البخاري : كتاب اللباس – باب الجلوس على الحصير ونحوه (٥٨٦١) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١ : ٥٤٠ حديث ٢١٥ (٧٨٢) وللحديث قصة .

(٢) البخاري : كتاب الرقاق – باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٣) .

(٣) ((فتح الباري)) ١١ : ٣٠٣ .

قالوا : لِزَيْنَبَ ، تصلِّي ، فإذا كسِلَتْ أو فَتَرَتْ أمسكَتْ به . فقال النَّبيُّ ﷺ: ((حُلُّوه ، لِيُصلِّ أحدُكم نشاطَه ، فإذا كَسِلَ أو فـتَرَ قعـدَ)) وفي روايـة : ((فليَقْعُـدْ)) رواه البخـاري ومسـلم[1] واللفظ له .

وفي الحديث أن الرِّفق بالنَّفْس في العبـادة مطلـوب ، فـإذا أدّى الإنسانُ فرضَه فلا يتكلّف ما وراء ذلك إلا بقدر طاقتـه ، ولا يُشَدِّدُ على نفسه في الإكثار من النوافل ، خشـية الوقـوع في الملل ، وقد بوّب البخاري لهذا الحديث بقوله : (باب ما يُكْـرَه من التشديد في العبادة) .

قال ابن بطّـال : ((إنـما يكـره التشـديد في العبـادة خشـية الفتور وخوف الملل))[2] ، وهذا ربما أفضى إلى ترك العبادة .

وذكر ابن حجر من فوائـد هـذا الحـديث : ((الحـثّ عـلى الاقتصاد في العبادة ، والنهي عن التَّعمُّق فيها ، والأمر بالإقبال عليها بنشاط))[3].

---

(١) البخـاري : كتـاب التهجـد – بـاب مـا يكـره مـن التشـديد في العبـادة (١١٥٠)، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين – باب أمر من نعس في صلاته ... ١ : ٥٤١ حديث ٢١٩ (٧٨٤) .

(٢) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال ٣ : ١٤٤.

(٣) ((فتح الباري)) ٣ : ٤٥ .

وعن عبد الله بن عَمْرِو بنِ العاص قال : أُخْبِرَ رسولُ الله ﷺ أنه يقول : لأقومَنَّ الليل ، ولأصُومَنَّ النَّهارَ ما عِشْتُ . فقال رسولُ الله ﷺ : ((آنْتَ الذي تقولُ ذلكَ ؟)) فقلتُ له : قد قلْتُه يا رسولَ الله .

فقال رسولُ الله ﷺ : ((فإنَّك لا تستطيعُ ذلك ، فصُمْ وأفطِرْ، ونَمْ وقُمْ ، وصُمْ من الشَّهْرِ ثلاثةَ أيَّامٍ ؛ فإنَّ الحسنةَ بعشْرِ أمثالِها ، وذلك مثلُ صيامِ الدَّهْرِ)) .

قال : قلتُ : فإني أُطِيقُ أفضلَ من ذلك .

قال : ((صُمْ يوماً ، وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)) .

قال : قلتُ : فإني أُطِيقُ أفضلَ من ذلك يا رسول الله .

قال : ((صُمْ يوماً ، وأفطِرْ يوماً ، وذلك صيامُ داودَ – عليه السَّلام – وهو أعْدَلُ الصِّيام)) .

قال : قلت : فإنّي أُطِيقُ أفضلَ من ذلك .

قال رسولُ الله ﷺ : ((لا أفضلَ من ذلك)) .

قال عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما : لأن أكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثةَ الأَيَّامَ التي قال رسولُ الله ﷺ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي . أخرجه مسلم[1].

---

(١) مسلم : كتاب الصيام – باب النهي عن صوم الدهر ... ٢ : ٨١٢ حديث ١٨١ (١١٥٩) .

قال الإمام النووي رحمه الله : ((حاصل الحديث : بيانُ رفقِ رسول الله ﷺ بأمته وشفقتِه عليهم ، وإرشادهم إلى مصالحهم ، وحثُّهم على ما يطيقون الدوام عليه ، ونهيُهم عن التَّعمُّق والإكثار من العبادات التي يُخاف عليهم المللُ بسببها ، أو تركُها أو تركُ بعضها ...))[1].

ونقل أبو حامد الغزالي رحمه الله عن بعضهم قوله : ((ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرِّفق ...))[2].

٢-تأخير الظهر رِفقاً بالنَّفْس من شدة الحرِّ :

أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أن تقام الصلاة لوقتها المستحبّ - أول الوقت - لكن إذا لحق بالمصلّين تعب أو أذى استُحِبَّ لهم تأخيرها ما دامت في الوقت ، رفقاً ورحمة بهم :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أذَّن مؤذِّنُ النبيِّ ﷺ الظهرَ فقال : ((أَبْرِدْ ، أَبْرِدْ)) أو قال : ((انتظر انتظر)) ، وقال : ((شِدَّةُ الحرِّ من فَيْحِ جهنَّم ، فإذا اشتدَّ الحرُّ فأَبْرِدوا عن

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ٨ : ٣٩- ٤٠ .

(٢) ((إحياء علوم الدين)) ٣ : ١٩٨ .

الصلاة)) قال أبو ذرّ : حتى رأينا فَيْءَ التُّلُـول . رواه البخـاري ومسلم[1].

قال ابن حجر في معنى ((فـأبردوا)) : ((أي : أخّـروا إلى أن يبرد الوقت))[2].

٣-تخفيف الصلاة رفقاً بالمأمومين :

عن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال : جـاء رجـلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال : إني لأَتـأَخَّرُ عـن صـلاة الصُّـبح مـن أجل فلان ممَّا يُطِيلُ بنا . فما رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ غضِبَ في موعظـةٍ قطُّ أشدَّ ممَّا غَضِبَ يومئذ ، فقال : ((يـا أيُّهـا النَّـاسُ إنَّ مـنكم مُنَفِّرين ، فـأَيُّكم أمَّ النَّـاسَ فَلْيُـوجِزْ ، فـإنَّ مـن ورائِـه الكبـيرَ والضَّعيفَ وذا الحاجةِ)) رواه البخاري ومسلم[3].

---

(١) البخـاري : كتـاب مواقيـت الصـلاة – بـاب الإبـراد بـالظهر في شـدة الحـر (٥٣٥) ، ومسـلم : كتـاب المسـاجد ومواضـع الصـلاة – بـاب اسـتحباب الإبـراد بـالظهر في شـدة الحـر ١ : ٤٣١ حـديث ١٨٤ (٦١٦) ، وروي نحـوه عن أبي هريرة ، وعبـد الله بـن عمـر ، وأبـي سـعيد الخـدري ، وأحـاديثهم في الصحيحين .

(٢) ((فتح الباري)) ٢ : ٢١ .

(٣) البخـاري : كتـاب الأحكـام – بـاب هـل يقضـي القاضـي أو يفـتي وهـو غضـبان (٧١٥٩) ، ومسـلم : كتـاب الصـلاة – بـاب أمـر الأئمـة بتخفيـف الصلاة في تمام ١ : ٣٤٠ حديث ١٨٢ (٤٦٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((إذا صلَّى أحدُكم للنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فإنَّ منهم الضَّعيفَ والسَّقيمَ والكبيرَ ، وإذا صلَّى أحدُكم لنفسه فَلْيُطَوِّلْ ما شاء)) رواه البخاري ومسلم[١].وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : آخِرُ ما عَهِدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ: ((إذا أَمَمْتَ قوماً فأخِفَّ بِهِمُ الصَّلاةَ)) رواه مسلم[٢].

وفي هذه الأحاديث دليل على الرِّفق في أداء الصلاة مراعاة لأحوال المأمومين ، وأن لا يطوِّل الإمام بهم تطويلاً يَشِقُّ عليهم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : ((إنِّي لأَدْخُلُ في الصَّلاةِ وأنا أُرِيدُ إطالتَها ، فأسمعُ بكاءَ الصَّبي، فَأَتَجَوَّزُ في صلاتي مِمَّا أعلَمُ من شدَّةِ وَجْدِ أمِّه من بُكائِه)) رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) البخاري : كتاب الأذان – باب إذا صلَّى لنفسه فليطوّل ما شاء (٧٠٣) ، ومسلم : كتاب الصلاة – باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ١ : ٣٤١ حديث ١٨٣ (٤٦٧) .

(٢) مسلم : كتاب الصلاة – باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ١ : ٣٤٢ حديث ١٨٧ (٤٦٨) .

(٣) البخاري : كتاب الأذان – باب من أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٩)، ومسلم : كتاب الصلاة – باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في

قال النووي : ((فيه دليل على الرِّفق بالمأمومين وسائر الأتباع ، ومراعاة مصلحتهم ، وأن لا يدخل عليهم ما يَشُقُّ عليهم وإن كان يسيراً من غير ضرورة))[1].

وقال ابن حجر : ((وفيه شفقة النبي ﷺ على أصحابه ، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير))[2].

٤-النهي عن الوصال في الصيام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((إيّاكم والوِصالَ)) مرّتين ، قيل : إنَّكَ تُواصل ؟ قال : ((إني أَبِيتُ يُطْعِمُني ربي ويَسْقِيني ، فاكْلَفُوا من العمل ما تُطِيقون)) أخرجه البخاري ومسلم[3].

قال البخاري : ((نَهى النَّبيُّ ﷺ عنه رحمةً لهم وإِبْقاءً عليهم، وما يُكْرَه من التَّعَمُّقِ))[4].

تمام ١ : ٣٤٣ حديث ١٩٢ (٤٧٠) ، وأخرج البخاري أيضاً (٧٠٧) عن أبي قتادة نحوه .

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ٤ : ١٨٧.

(٢) ((فتح الباري)) ٢ : ٢٣٧ .

(٣) البخاري : كتاب الصوم – باب التنكيل لمن أكثر الوصال (١٩٦٦)، ومسلم : كتاب الصيام – باب النهي عن الوصال في الصوم ٢ : ٧٧٤ حديث ٥٧ (١١٠٣) .

(٤) البخاري : كتاب الصوم – ٤٨ باب الوصال ٤ : ٢٣٨ .

٥-مشروعية السحور واستحباب تأخيره :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : تسحَّرْنا مع النَّبيِّ ﷺ ثم قام إلى الصَّلاة ، قلتُ : كم كان بين الأذان والسَّحور ؟ قال: قَدْرُ خمسين آيةً . رواه البخاري ومسلم[١].

قال ابن أبي جمرة[٢]: ((كان ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله ؛ لأنه لو لم يتسحَّرْ لاتَّبعوه فيَشِقُّ على بعضهم ، ولو تسحَّر في جوف الليل لَشقَّ أيضاً على بعضهم ممن يغلب عليه النوم ، فقد يُفْضي إلى ترك الصبح ، أو يحتاج إلى المجاهدة بالسَّهَر ، وقال : فيه أيضاً تقويةٌ على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام، ولو ترك لَشَقَّ على بعضهم ...))[٣].

---

(١) البخاري : كتاب الصوم – باب قدْر كم بين السحور وصلاة الفجر (١٩٢١)، ومسلم : كتاب الصيام – باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره .. ٢ : ٧٧١ حديث ٤٧ (١٠٩٧) .

(٢) هو الإمام عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة، أبو محمد الأزدي الأندلسي المالكي، توفي سنة ٦٩٥ بمصر، من مؤلفاته : ((جمع النهاية)) اختصر به ((صحيح البخاري))، ثم شرحه في ((بهجة النفوس وتحلِّيها بمعرفة ما لها وما عليها)) . ((الأعلام)) للزِّرِكْلي ٤ : ٨٩ .

(٣) نقلاً عن ((فتح الباري)) لابن حجر ٤ : ١٦٥.

٦-تعجيل الفِطْر :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قـال : ((لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ مَا عجَّلوا الفِطْـرَ)) أخرجـه البخـاري ومسلم[١].

قال المهلَّب[٢]: ((والحكمة في ذلك أن لا يُزادَ في النهار من الليل، ولأنه أرفَقُ بالصَّائم ، وأقوى له على العبادة))[٣].

٧-التصدُّق على النَّفْس قبل الغير رفقاً بها :

عن جابر رضي الله عنه قال : أعتقَ رجـلٌ مـن بنـي عُـذْرَةَ عبداً له عن دُبُرٍ[٤] فبلغ ذلـك رسـولَ الله ﷺ ، فقـال : ((أَلَـكَ مالٌ غيرُه؟)) . فقـال : لا . فقـال : ((مـن يشـتريه مِنِّـي؟)) . فاشتراه نُعَيم بنُ عبد الله العـدَوِي بثمانمائـة درهـم ، فجـاء بهـا رَسُولَ الله ﷺ، فدفعَها إليه ثم قال : ((اِبْدأْ بنفسِـكَ فتصـدَّقْ

---

(١) البخاري : كتاب الصوم – باب تعجيل الإفطار (١٩٥٧) ، ومسلم : كتاب الصيام – باب فضل السحور ... ٢ : ٧٧١ حديث ٤٨ (١٠٩٨) .

(٢) هـو : المُهَلَّب بـن أحمـد بـن أبـي صُفْرة ، أبـو القاسـم الأسـدي الأندلسـي القاضـي، أحـد الأئمـة الفصـحاء الموصـوفين بالـذكاء ، صـنَّف شـرحاً لصحيح البخاري ، توفي سنة ٤٣٥ . ((سير أعلام النبلاء)) ١٧ : ٥٧٩، و ((شذرات الذهب)) ٣ : ٢٥٥.

(٣) نقلاً عن ((فتح الباري)) لابن حجر ٤ : ٢٣٤ .

(٤) أي : بعد موته ، يقال : دبَّرتَ العبد إذا علَّقْتَ عتقَه بموتك . ((النهاية)) ٢ : ٩٨ .

عليها ، فإنْ فضَلَ شيءٌ فلأهلِكَ ، فإنْ فضَلَ عـن أهلِـكَ شيءٌ فلِـذِي قرابتِـكَ، فـإنْ فضَـلَ عـن ذي قرابتِـكَ شيءٌ فهكـذا وهكذا)) يقول : فبينَ يدَيْكَ ، وعن يمينِـكَ ، وعـن شِـمالِكَ . أخرجه مسلم[1].

وبـوّب النَّـوَويُّ رحمـه الله لهـذا الحـديث بقولـه : (بـاب الابتداء في النَّفَقة بالنفس ثم أهلـه ثـم القرابـة) ، ثـم ذكـر في فوائـد الحـديث : ((أن الحقـوق والفضـائل إذا تزاحمـت قـدّم الأوكد فالأوكد))[2].

٨-لا يستحب للحاجّ صوم يوم عرفة :

عن أمّ الفضل بنتِ الحارث رضي الله عنها أنّ ناساً اختلَفوا عندها يوم عرفةَ في صَوْمِ النَّبيِّ ﷺ ، فقال بعضهم : هو صائم، وقال بعضهم : ليس بصائم ، فأرسلَتْ إليـه بقـدحِ لـبنٍ وهـو واقفٌ على بعيرِه فَشَرِبَه. رواه البخاري ومسلم[3].

---

(١) مسلم : كتاب الزكاة – باب الابتداء في النفقة بالنفس .. ٢ : ٦٩٢ حديث ٤١ (٩٩٧).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٧ : ٨٣ .

(٣) البخـاري : كتـاب الحـج – بـاب الوقـوف علـى الدابـة بعرفـة (١٦٦١) ، ومسلم: كتاب الصيام – باب استحباب الفطر للحاج يوم عرفة ٢ : ٧٩١ حديث ١١٠ (١١٢٣) .

قال النووي : ((احتجّ الجمهور بفِطْر النبيِّ ﷺ فيه ، ولأنه أرفق بالحاجّ في آداب الوقوف ومهمات المناسك))[1].

٩-رفق الحاجِّ بنفسه في الدعاء ونحوه :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ ، فكُنَّا إذا أشرَفْنا على وادٍ هلَّلْنا وَكبَّرْنا ارتفعَتْ أصواتُنا ، فقال النَّبيُّ ﷺ : ((يا أيُّها النَّاسُ ، اِرْبَعُوا على أنفسِكُم، فإنَّكم لا تَدْعُونَ أصمَّ ولا غائباً، إنه معكم ، إنَّه سميعٌ قريبٌ، تَبارَكَ اسمُه وتعالى جَدُّه)) رواه البخاري ومسلم[2].

قال ابن السِّكِّيت : ((ربَع الرجلُ يربَع، إذا رَفَق وكَفَّ))[3].

وقال ابن حجر أيضاً : ((قوله (اِرْبَعُوا) بهمزةِ وَصْلٍ مكسورة ، ثم موحَّدة مفتوحة ، أي : ارفقوا ، ولا تُجْهِدوا أنفسكم))[4].

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ٨ : ٢ .

(٢) البخاري : كتاب الجهاد والسير – باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير (٢٩٩٢) ، ومسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤ : ٢٠٧٦ حديث ٤٤ (٢٧٠٤) .

(٣) نقلاً عن ((فتح الباري)) ١١ : ٥٠٩ عند شرح حديث (٦٦١٠) .

(٤) ((فتح الباري)) ١١ : ١٩١ عند شرح حديث (٦٣٨٤) .

المبحث الثاني
الرِّفق في محيط العلاقات الأسرية

في أي تجمع إنساني تبرز علاقات اجتماعية تنمو في ظل التفاعل بين أفراده ، ومن أبرز أسباب تلك العلاقات : القرابة بالنَّسب والمصاهرة .

وقد عني الإسلام بهذه العلاقات عناية بالغة ، فشرّع لها أحكاماً ، وسنَّ لها آداباً .

وكان للرِّفق مجال رحب فيها : فالآباء ، والأبناء ، والإخوة، والأزواج ، والأصهار ، والأرحام: يترفَّق جميعهم ، ويتلطَّف بعضهم ببعض ، فتدوم الصِّلات فيما بينهم ، وتقوى الروابط التي تجمعهم .

وإذا كان المسلم مأموراً بالرِّفق مع كل أحد ، فهو مع هؤلاء الذين تربطه بهم روابط وثيقة مأمور بالأولى .

وتتأكد الدَّعوة إلى التعامل بالرِّفق كلما كانت علاقة القرابة والصلة أقوى، فالرِّفق بالوالدين من أعلى درجات الرِّفق وآكدها ، وقس على هذا .

وإذا حصل عكس الرِّفق تهدَّدت العلاقات الأسرية ، وربما تقطّعت ، وحلَّ التدابر والتباغض محلَّ المودَّة والمحبة .

وسأعرض في هذا المبحث صوراً شتّى من العلاقات الأسرية ، التي حثَّ الإسلام على الرِّفق فيها ؛ ليتحقّق لتلك العلاقات النّجاح والديمومة في الدنيا ، ويتحقّق لأهلها الأجر في الآخرة .

١ -الرِّفق بالأبوين :

عظّم الله تعالى حقَّ الوالدين حين عطفه على حقِّه سبحانه ، فقال جلَّ وعلا :﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾[1].

وقال سبحانه :﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[2] .

وجعل بِرَّ الوالدين من آكد الأعمال ، فقال تعالى :﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾[3]، وقال سبحانه :﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[4]، وقال : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء (٢٣) .

(٢) سورة لقمان (١٤) .

(٣) سورة العنكبوت (٨) .

(٤) سورة لقمان (١٥) .

(٥) سورة الإسراء (٢٣- ٢٤) .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، مَنْ أحَقُّ بِحُسْنِ صحابتي ؟

قال : ((أمُّك)) .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : ((أمُّك)) .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : ((أمُّك)) .

قال : ثم مَنْ ؟

قال : ((ثم أبوك)) رواه الشيخان [1] عن أبي هريرة .

وبِرُّ الوالدين يتمثَّل بصِلَتِهما ، وطاعتِهما ، والوفاءِ لهما ، وحُسْنِ صحبتهما ، وخفضِ الجناح لهما ، والتوسُّعِ في الإحسان إليهما ، والبذلِ في سبيل رضاهما .

وهذا لا يتحقّق إلا بالرِّفق ، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى بأبلغ العبارات حين عبَّر بخفض الجناح تذلّلاً لهما ، والرحمة بهما ، والإحسان إليهما ، والمعروف في صحبتهما ، وعدم نهرهما والتَّأفف منهما .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١)، ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب بر الوالدين ٤ : ١٩٧٤ حديث ١ (٢٥٤٨) .

ولما كان الرِّفق بالوالدين هو السبيلَ الموصل إلى تحقيق برِّهما الواجب شرعاً ، كان حكمه الوجوب أيضاً ؛ إذ للوسائل حكم الغايات .

والرِّفق بالأبوين واجب حتى وإن كانا كافرين أو عاصيين :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كُنَّا في غَزَاةٍ .....الحديث ، وفيه : فسمع بذلك عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ فقال : فعلوها ، أما والله لَئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأَذَلَّ . فبلغَ النَّبِيَّ ﷺ ، فقام عمر فقال : يا رسولَ الله دَعْني أَضْرِبْ عُنُقَ هذا المنافق ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : ((دَعْه لا يَتحدَّثُ النَّاسُ أنَّ محمَّداً يقتل أصحابَه)) أخرجه البخاري ومسلم[1] .

زاد ابن إسحاق : ((وبلغ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ أُبَيّ ما كان من أمرِ أبيه ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال : بلغني أنك تريد قتلَ أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به فأنا أحملُ إليكَ رأسَه، فقال : بل تَرْفُقُ به ، وتُحْسِنُ صُحْبتَه))[2] .

---

(١) البخاري : كتاب التفسير – باب (٥) حديث (٤٩٠٥) ، ومسلم : كتاب البر والصلة – باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ٤ : ١٩٩٨ حديث ٦٣ (٢٥٨٤) .

(٢) نقلاً عن ابن حجر في ((فتح الباري)) ٨ : ٥١٨ .

قلت : فإذا كان ابنُ سَلول رأسُ المنـافقين ، ومـن آذى اللهَ ورسولَه والمؤمنين ، جاء الأمر بالتَّرفُّق به ، فـما عسـانا فـاعلين بآبائنا وأمهاتنا المؤمنين والمؤمنات ؟ .

٢-الرِّفق بالأولاد :

من المعلوم أن محبَّة الأولاد قضية فطريـة جُبِلـت القلـوب عليها ، وهي الباعث على تلك المشـاعر الرَّقيقـة ، والعواطـف الجيّاشة من الأبوين تجاههم .

وتتمثَّل هذه المحبة بتقديم الحماية والرعاية لهـم ، والرَّحمـة والرَّأفة بهم ، والشفقة والعطف عليهم ، ولها في تربيـة الـنشء وتكوينه أفضل النتائج وأعظم الآثار .

وقد حفلت كتب السُّنَّة بالأحاديـث الكثـيرة التـي تظهـر مـدى عنايـة الإسـلام بـالأولاد في شـتى المجـالات وفي كـل المراحل ، وما الترَّغيب بالرِّفق بهم إلا أحـد تلـك المجـالات ، ومن صور ذلك الرِّفق :

-تمكين الطفل من الرَّضاع من أمِّه :

للطفل في الإسلام حقُّ الرضاع من أمِّه ، وهذا الحـقُّ ربـما ضاع في ظروف الخلاف والشقاق بين الزوجين ، فتأبى الوالدة إرضاعه ، أو يأبى الوالد دفع الطفل إليها ؛ لذا جاء النهي عـن

تضييع هذا الحقِّ بقوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

قال البخاري رحمه الله تعالى : قال يونس عن الزهري : نهى الله أن تُضارَّ والدةٌ بولدها ، وذلك أن تقول الوالدةُ : لسْتُ مُرْضعتَه وهي أمثلُ له غذاءً ، وأشفق عليه وأرفق به من غيرها ، فليس لها أن تأبى بعدَ أن يُعطِيَها من نفسه ما جعلَ الله عليه ، وليس للمولودِ له أن يُضارَّ بولدِه والدتَه فيَمْنعَها أن تُرْضعَه ضراراً لها إلى غيرها ..))[2].

---

(١) سورة البقرة (٢٣٣).

(٢) البخاري : كتاب النفقات – باب (٥) ٩ : ٤١٤ .

-توفير الحنان للطِّفل بالضَّمِّ والتقبيل :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعـرابيٌّ إلى النَّبـي ﷺ فقال : تُقَبِّلُون الصِّبيانَ ! فما نُقَبِّلُهم . فقال النَّبيُّ ﷺ : ((أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نزَعَ اللهُ مِنْ قلبِكَ الرَّحمَةَ)) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قَبَّـل رسـولُ الله ﷺ الحسنَ بنَ عليٍّ وعنده الأَقْرَعُ بنُ حابِس التَّميميُّ جالساً . فقال الأَقْرَعُ : إنَّ لي عشَرةً من الولد ما قَبَّلْتُ منهم أحداً !. فنظر إليه رسـولُ الله ﷺ ثُـمَّ قـال : ((مَـنْ لا يَـرْحَمُ لا يُـرْحَمُ)) رواه البخاري ومسلم[2].

-ترك محاسبة الطِّفل لعدم تكليفه :

تقول السـيِّدة عائشـة رضي الله عنهـا : أُتِيَ رسـولُ الله ﷺ بصبيٍّ، فبال على ثوبِه، فدعا بـماءٍ فأتبعَـه إيَّـاه . رواه البخـاري ومسلم[3]

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٨) ، ومسلم : كتاب الفضائل – باب رحمته ﷺ الصبيان ... ٤ : ١٨٠٨ حديث ٦٤ (٢٣١٧).

(٢) البخاري : كتاب الأدب – باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، ومسلم : كتاب الفضائل – باب رحمته ﷺ الصبيان ... ٤ : ١٨٠٨ حديث ٦٥ (٢٣١٨).

(٣) البخاري : كتاب الوضوء – باب بول الصبيان (٢٢٢)، ومسلم : كتاب الطهارة – باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله ١ : ٢٣٧ (٢٨٦).

وعن أمِّ قَيْسٍ بنتِ مِحْصَنٍ أَنَّها أَتَتْ بابنٍ لها صغيرٍ ، لم يأكُلِ الطَّعامَ إلى رسول الله ﷺ ، فأجلسَه رسولُ الله ﷺ في حِجْره، فبال على ثوبِه ، فدعا بماءٍ فنضَحَه ولم يغسلْه . رواه البخاري ومسلم[1].

قال النووي : ((فيه : النَّدْب إلى حُسْن المعاشرة واللِّين والتَّواضُعِ والرِّفْق بالصِّغار وغيرِهم))[2].

وقال ابن حجر : ((ويستفاد منه : الرِّفْق بالأطفال ، والصَّبْرُ على ما يَحْدُث منهم ، وعدمُ مؤاخذتِهم ؛ لعدم تكليفهم))[3].

-مجاراة الطفل ، والإصغاء لحديثه ، والتَّفاعل معه :

عن أنس رضي الله عنه قال : كانت الأَمَةُ من إماء المدينة لَتأخُذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت . رواه البخاري[4].

---

(١) البخاري : كتاب الوضوء – باب بول الصبيان (٢٢٣) ، ومسلم : كتاب الطهارة – باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله ١ : ٢٣٨ (٢٨٧).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٣ : ١٩٥ .

(٣) ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٤٨ عند شرح حديث (٦٠٠٢) .

(٤) البخاري : كتاب الأدب – باب الكِبْر (٦٠٧٢) .

ولفظ أحمد : إِنْ كانت الوليدة مِنْ ولائد أهلِ المدينة لَتَجِيءُ فتأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فلا يَنْزِعُ يدَه من يدِها ، حتى تذهب به حيث شاءَتْ[1].

قال ابن حجر : ((والمقصود من الأخذ باليد : لازِمُه ، وهو الرِّفْقُ والانقياد . وقد اشتمل على أنواعٍ من المبالغة في التواضع : لِذِكْرِه المرأةَ دون الرجل ، والأَمَةَ دون الحُرَّة ، وحيث عمَّم بلفظ (الإماء) أيَّ أَمَةٍ كانَتْ ، وبقوله (حيث شاءت) أي : من الأمكنة، والتعبيرُ بالأخذ باليدِ إشارةٌ إلى غايةِ التَّصرُّفِ ، حتى لو كانت حاجَتُها خارجَ المدينة ، والتمسَتْ منه مساعدتَها في تلك الحاجة ، لساعد على ذلك ، وهذا دالٌّ على مزيد تواضُعِه ، وبراءته من جميعِ أنواعِ الكِبْر ﷺ))[2].

-الرِّفق بالطِّفل في مجازاته وتأديبه :

الأصل في الإسلام أن تكون معاملة الطفل بالرِّفق واللّين، لكن إذا دعت الضَّرورة إلى مجازاته وتأديبه ، فلذلك وسائل متعدِّدة ، منها : التّوجيه ، ولفت النظر، والإشارة ، والتوبيخ ، والهجر ، والضَّرب الخفيف غير المبرّح ، فيتدرَّج المربّي في هذه

---

(١) ((المسند)) ٣ : ١٧٤.

(٢) ((فتح الباري)) ١٠ : ٥٠٦ .

الوسائل ، ولا ينتقل إلى الجزاء الأعلى إلا في حال عدم جدوى الأدنىّ ، فالمُربِّي كالطَّبيب .

ويعدُّ الضَّرب أعلى تلك العقوبات ، ولا يجوز اللجوء إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم ، وله شروط تجعل استعماله محدوداً وفي أضيق الظروف[1]؛ إذ ليس من الرِّفق اللجوء إلى الضرب كوسيلةٍ أولى في التأديب ، ومن فعل ذلك فقد عنَّف وما أدّب ، وأفسد وما أصلح ، وربما عُدَّ صنيعه هذا انتقاماً ، وليس تربية وإصلاحاً .

عن أم الفضل – زوج العباس عم النبي ﷺ – قالت : رأيت كأنَّ في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ قالت : فجَزِعت من ذلك ! فأتيتُ رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ؟

فقال : ((خيراً ، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه بلبنِ ابنِك قُثَم)) .

قالت : فولدت حسناً فأُعطِيتُه فأرضعته حتى تحرك أو فطمته ، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ ، فأجلسته في حَجْره فبال، فضربت بين كتفيه .

فقال : ((ارفقي بابني رحمكِ الله _ أو : أصلحكِ الله _ أوجعتِ ابني)) .

---

(١) يراجع ((تربية الأولاد في الإسلام)) عبد الله علوان ٢ : ٧٦٩- ٧٧٠.

قالت : قلت : يا رسول الله اخلع إزارك والبس ثوباً غـيره حتى أغسله .

قال : ((إنما يغسل بول الجارية ، وينضـح بـول الغـلام)) رواه أحمد وأبو يعلى[1].

قال ابن حجر[2]: ((إسناده جيد)) .

٣-الرِّفْق بالنِّساء :

أَوْلَى الإسلامُ المرأةَ عنايـةً فائقـة ، وبوّأهـا منـــزلة رائقـة لم تقاربها – فضـلاً عـن أن تبلُغَهـا – في ظـلِّ الـدياناتِ والـنُّظُم الأخرى، يُقِرُّ بهذا كلُّ مُنْصِفٍ مُطَّلِعٍ عـلى نصـوص الكتـاب الكريم ، وهَدْي إمام الأنبياء والمرسـلين صـلى الله تعـالى عليـه وعلى آله وسلَّم .

فقد حثَّ الإسلام من خلال الكتاب والسُّـنَّة عـلى القيـام بحقوق المرأة في تفصيل واضح ، وبيان رائع ، لا يَـدَع المجـالَ لإضافةٍ أو تعديل ، ذلك لأنه نظام من لدن حكيم خبير .

---

(١) ((مسند أحمد)) ٦ : ٣٣٩ ، ((مسند أبي يعلى)) ١٢ : ٥٠٠ (٧٠٧٤) .

(٢) ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ٤ : ٤٨٤ .

ولست بصدد سَرْدِ تلك الحقوق وبيانها ، ففي الموضوع مؤلفات كثيرة تغني وتكفي ، وإنما أردت هنا بيان جانب مهم عُنِيت به السُّنَّة الشريفة ، ألا وهو الرِّفق بالمرأة .

وقد حقَّق النبيُّ ﷺ هذا المطلب في حياته العملية ، وظلَّ يوصي بالمرأة عموماً إلى أن لَحِق بالرَّفيق الأعلى ، ولما وقف في حجة الوداع في أعظم تجمّع إيماني خطيباً ليستعرض ركائز الدين وأهمّ قضايا الإسلام ، كانت الوصية بالمرأة حاضرة في تلك الخطبة الهامّة ، فقد قال فيها : ((... اتَّقُوا اللهَ في النِّساء ، فإنكم أخذتموهُنَّ بأمان الله ، واستَحْلَلْتُم فُروجَهُنَّ بكلمةِ الله...)) رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه[1].

وجاء الأمر من الله تعالى بحُسْنِ عِشْرةِ الزوجات ، فقال سبحانه :﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2].

وحُسْن العِشْرة للزوجة يعني : أداءَ حقِّها من مهر ونفقة ، والتلطُّفَ معها ، وإلانةَ القول لها ، والصبرَ عليها ، والإغضاءَ عن خطئها ، والصفحَ عما يقع منها .

---

(١) مسلم : كتاب الحج – باب حجة النبي ﷺ ٢ : ٨٨٩ (١٢١٨) .

(٢) سورة النساء (١٩) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : ((... واستَوْصُوا بالنِّساء خيراً ، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ من ضِلَعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعلاه ، فإن ذهبْتَ تُقِيمُه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يزَلْ أعوجَ ، فاستَوْصُوا بالنِّساءِ خيراً)) . رواه البخاري ومسلم[1].

قال النووي : ((استوصوا بالنساء : فيه الحثُّ على الرِّفق بالنساء واحتمالِهِنّ))[2].

وقال ابن حجر : ((معناه : اقبَلوا وصيَّتي فيهنَّ ، واعمَلوا بها ، وارفُقوا بهنَّ ، وأحسنوا عِشْرتَهُنَّ))[3].

ومن صور الرِّفق بالزوجة : مُداراتُها

قال ﷺ : ((... فَدارِها تَعِشْ بها)) الحديث ، أخرجه أحمد

وابن حبان والحاكم[4] بإسناد صحيح عن سَمُرَة بنِ جُنْدُبٍ .

---

(١) البخاري : كتاب النكاح – باب الوَصاة بالنساء (٥١٨٦) ، ومسلم : كتاب الرضاع – باب الوصية بالنساء ٢ : ١٠٩١ حديث ٦٠ (١٤٦٨) .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١٠ : ٥٨ .

(٣) ((فتح الباري)) ٦ : ٤٢٤ عند شرح حديث (٣٣٣١) .

(٤) ((المسند)) ٥ : ٨ ، و ((الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)) ٩ : ٤٨٥ (٤١٧٨) و((المستدرك)) ٤ : ١٧٤ ، وعند الحاكم : ((فدارها تعش بها

وبوّب البخاري في (كتاب النكـاح) لهـذا فقـال : ((بـاب المداراة مع النساء))[1].

قال ابن حجر : ((المُداراة : هو بغير همز ، بمعنى المجاملـة والمُلاينة))[2].

والمُداراة باعتبارها لوناً من ألوان الرِّفق مطلوبة ، وهـي في حقِّ الأهلِ مطلوبةٌ بالأَوْلى ؛ لقوله ﷺ : ((خِيـارُكم خِيـارُكم لِنسائهم)) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه[3]، ورواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[4].

ومن صور الرِّفق بالزوجة : خِدْمتُها ، وتخفيفُ الأعباء عنها:

عن الأَسْود قال : سألْتُ عائشةَ : ما كان النَّبـيُّ ﷺ يصـنعُ في بيته ؟ قالت : كان يكونُ في مِهْنة أهله – تعني خِدمةَ أهله – فإذا حضرت الصَّلاةُ خرجَ إلى الصَّلاة . رواه البخاري[5].

ثـلاث مـرات)) وقـال : ((هـذا حـديث صـحيح الإسـناد علـى شـرط الشيخين)) ووافقه الذهبي .

(1) ٩ : ١٦٠ .

(2) ((فتح الباري)) ٩ : ١٦١ .

(3) الترمذي : كتاب الرضاع – باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (١١٦٢)، وقال : ((وفي البـاب عن عائشة وابن عباس ، وحديث أبي هريرة هـذا حديث حسن صحيح)) .

(4) ابن ماجه : كتاب النكاح – باب حسن معاشرة النساء (١٩٧٨)، وقال البوصيري- ٢ : ١١٤ (٧٠٢) - : ((إسناد صحيح، رجاله ثقات)) .

(5) البخاري : كتاب الأدب – باب كيف يكون الرجل في أهله (٦٠٣٩) .

ومن صور الرِّفق بالزوجة : الإغضاء عن هفواتها ، ومسامحتها :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((شِدَّة الوَطأة على النِّساء مذموم ؛ لأن النبيَّ ﷺ أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم ، وترك سيرةَ قومه))[1].

ومن صور الرِّفق بالزوجة : التلطُّف معها :

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرّأها الله منه ...الحديث ، وفيه تقول عائشة : فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً والناس يُفِيضون من قول أصحاب الإفك ، ويَريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللُّطْفَ الذي كنت أرى منه حين أمرض[2]، ...

وفي لفظ آخر : وهو يَريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطْف الذي كنت أرى منه حين أشتكي[3] ...

---

(١) ((فتح الباري)) ٩ : ٢٠٢ .

(٢) البخاري : كتاب الشهادات – باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ٥ : ٣١٩ (٢٦٦١) .

(٣) البخاري : كتاب المغازي – باب حديث الإفك ٧ : ٤٩٦ (٤١٤١) ، و مسلم : كتاب التوبة – باب في حديث الإفك ... ٤ : ٢١٢٩ حديث ٥٦ (٢٧٧٠) .

قال ابن حجر : (اللطـف : بضـم أولـه وسـكون ثانيـه ، وبفـتحهما : لغتـان ، والمـراد : الرِّفـق ، ووقـع في روايـة ابـن إسحاق: أنكرتُ بعضَ لُطْفه))[1].

ومن صور الرِّفق بالزوجة : التَّرفيهُ عنها ، وتحقيق رغبتها ، وإعطاؤها ما تحبُّ من الأمور المباحة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تُغَنِّيان بغناءِ بُعَاث ، فاضطجعَ عـلى الفـراش وحـوَّل وجهَـه ، ودخـل أبـو بكـر فـانْتَهَرَني وقـال : مِزمـارةُ الشيطانِ عند النَّبيِّ ﷺ ! فأقبل عليه رسـولُ الله عليـه السَّـلام فقال : ((دعْهُما)) فلمَّا غفَل غمَزْتُهما فخرجَتا .

وكان يومَ عيدٍ يلعبُ السُّـودانُ بالـدَّرَق والحِـراب ، فإمَّـا سألتُ النَّبيَّ ﷺ ، وإمَّا قال : ((تَشْتهينَ تَنْظُرين ؟)) . فقلتُ : نعم . فأقامني وراءَه ، خَدِّي على خدِّه ، وهو يقولُ : ((دُونَكُم يا بني أَرْفِدَةَ)) . حتَّى إذا مَلِلْتُ قال :((حَسْبُكِ؟)) . قلـتُ : نعم . قال : ((فاذهبي)) رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) ((فتح الباري)) ٨ : ٣٢٠ .

(٢) البخاري : كتاب العيدين – باب الحِراب والدَّرَق يوم العيد (٩٤٩- ٩٥٠)، ومسلم : كتاب العيدين – باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ٢ : ٦٠٩ حديث ١٩ (٨٩٢) .

قــال ابــن حجــر : ((فيــه : الرِّفــق بــالمرأة ، واســتجلابُ مودّتِها))[1].

ومن صور الرِّفق بالزوجة : مجاراتُها ، والسّماع لها

عن سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه قال : اســتأذنَ عمــرُ عــلى رســول الله ﷺ، وعنــده نســاءٌ مــن قــريش يُكَلِّمْنَــهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عاليةً أصواتُهُنَّ ، فلما استأذنَ عمرُ ، قُمْــنَ يَبْتَــدِرْنَ الحجابَ ، فأَذِن له رسولُ الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ يَضْـحَكُ ، فقال عمرُ : أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يا رسول الله ؟ . قال : ((عَجِبْتُ من هؤلاء اللاتي كُــنَّ عنــدي ، فلــمَّا سَــمِعْنَ صــوتَك ابْتَــدَرْنَ الحجاب !)) .

قال عمر : فأنت يا رسولَ الله كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ ، ثم قال: أيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ ، أَتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسول الله ﷺ ؟!

قُلْنَ : نعم ، أنتَ أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ .

قــال رســول الله ﷺ : ((والــذي نفســي بيــده مــا لَقِيَــكَ الشَّيطانُ قطُّ سالكاً فجّاً إلا سلكَ فجّاً غيرَ فَجِّـك)) أخرجــه البخاري ومسلم[1].

---

(١) ((فتح الباري)) ٢ : ٥١٤ .

فرضي الله تبارك وتعالى عن عمر الفاروق فيه شـدة وقـوة زائدتان جعلت الشيطان يهرب من طريقه ويتحاشاه .

قال ابن حجر : ((كان النبيُّ ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره إلا في حق من حقوق الله ، وكان عمر يبالغ في الزجـر عـن المكروهـات مطلقاً وطلب المندوبات ، فلهذا قال النسوة له ذلك))[2].

- ومن صور الرِّفق بالزوجة : التدرُّج في تأديبها حال نشوزها

الأصل في العلاقة بين الزوجين أن تكون قائمة على المودّة والرّحمة ، لكن إذا بدَر من المرأة ما يوجب تأديبها ، فالتدرُّج في التأديب هو ما أرشد إليه القرآن الكريم ، قال سبحانه :﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾[3].

وهذا الترتيب : موعظة، فهجر ، فضرب ، يفيد أنه لا يُلْجأ إلى الأشدِّ إذا كان ينفع الأخفّ ، ليكون الضّرب هو أقسى

---

(١) البخاري : كتاب بدء الخلق – باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٩٤) ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه ٤ : ١٨٦٣ حديث ٢٢ (٢٣٩٦) .

(٢) ((فتح الباري)) ٧ : ٥٨ .

(٣) سورة النساء (٣٤) .

الجزاءات على الإطلاق، فهو آخر علاج، علماً أنه عليه الصلاة والسلام ما ضرب امرأةً من نسائه قطّ .

-ومن صور الرِّفق بها : عدمُ مواجهتها بالطّلاق

أكّد الإسلام على الرِّفق بـالمرأة حتّـى في أصـعب المواقـف عليها وأكثرها جفاء ، وهو الطلاق ، فقال تعالى : ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1] .

ومن الإحسان في الطلاق : عدمُ مواجهتها به ؛ لما في ذلـك من جرحٍ لمشاعرها .

وقد عقد البخاري في كتاب الطلاق باباً سمّاه : ((مَن طلّق وهـل يُواجـه الرجـلُ امرأتـه بـالطلاق ؟))[2]، وأورد تحتـه أحاديث تفيد أن النبي ﷺ لم يواجه من طلَّقها بذلك .

وعلَّق ابنُ حجر على هذا بقوله : ((وأما المواجهـة فأشـار إلى أنها خلافُ الأولى؛ لأنّ تركَ المواجهةِ أرفقُ وألطفُ ، إلا إن احتيج إلى ذكر ذلك))[3].

---

(١) سورة البقرة (٢٢٩) .

(٢) البخاري : كتاب الطلاق – باب (٣) ٩ : ٢٦٨ .

(٣) ((فتح الباري)) ٩ : ٢٦٩ .

وأختم الحديث بتنبيه السنة النبوية على رِقَّة النساء ولَطافتِهن عموماً ، والحثِّ على الرِّفق بهنّ في عامة الأحوال .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النَّبيُّ ﷺ في مسيرٍ له فحَدَا الحادي ، فقال النَّبيُّ ﷺ : ((أُرْفُقْ يا أَنْجَشَةُ- وَيْحكَ- بالقوارير)) رواه البخاري ومسلم[1].

قال أبو محمد الرّامَهُرْمُزِي : ((يقول ﷺ : اجعل سيرَك على مَهَلٍ ؛ فإنك تسير بالقوارير ، فكنّى عن ذِكْر النِّساء بالقوارير ، شبَّهَهُنَّ بها لرِقَّتِهِنَّ وضعفهنَّ عن الحركة ... وسُمِّيَت النساء قوارير : لأنهنَّ أشبهنها بالرِّقَّة واللَّطافةِ وضعف البِنْية))[2].

وقال ابن بطّال : ((القوارير هنا كناية عن النساء الذين على الإبل ، أمره بالرِّفق في الحِداء والإنشاد ؛ لأن الحِداء يحثُّ الإبل حتى تسرع السير ، فإذا مشت الإبل رويداً أُمِن على النساء من السُّقوط ...))[3].

(١) تقدم تخرجه ص ٤٥ .

(٢) ((أمثال الحديث)) ص ١٢٧- ١٢٨.

(٣) ((شرح صحيح البخاري)) ٩ : ٣٢٤ .

٤-الرِّفق بالأرحام

الأرحام: جمع رَحِم، قال ابن حجر: ((الرَّحِم – بفتح الراء، وكسر الحاء المهملة -: يطلق على الأقارب، وهم مَنْ بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا مَحْرَم أم لا.

وقيل: هم المحارم فقط.

والأول هو المُرَجَّح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام، وليس كذلك))[1].

والرِّفق بالأرحام مستفاد من مفهوم صلة الرَّحم المطلوبة شرعاً، فقد نقل النووي[2] عن العلماء أن حقيقة الصِّلة: العطف والرَّحمة.

ولسنا بصدد الاستدلال على مشروعية صلة الرَّحِم، وذِكْرِ النُّصوص الدالّة على فضيلتها، وإنما المراد هنا ذكر بعض صور الصِّلة التي يتجلّى فيها جانب الرِّفق، ومن ذلك:

---

(١) ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٢٨ عند شرح باب (١٠) من كتاب الأدب.

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١٦ : ١١٢.

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنّ النَّبي ﷺ قال: ((ليس الواصلُ بالمُكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعَتْ رَحِمُه وصلها)) رواه البخاري[1].

قلت : فإذا كان قطع الرَّحِم جفاء ، وفاعل ذلك غليظ القلب ، فإن صلة الرَّحِم رِفْق ، وصاحبها رحيم القلب .

-وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال : يا رسولَ الله إنَّ لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعوني ، وأُحْسِنُ إليهم ويُسيئون إليَّ ، وأَحلُم عنهم ويَجهلونَ عليَّ . فقال : ((لئن كنتَ كما قلتَ فكأَنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ[2]، ولا يزالُ معك من الله ظَهيرٌ[3]عليهم ما دُمْتَ على ذلك)) رواه مسلم[4].

والمعنى : إن ترفُّقَك بهم ، بعدم قطيعتهم رغم أنهم قاطعون ، وبالإحسان إليهم رغم أنهم مسيئون ، وبالحلم عليهم رغم أنهم مخطئون ، إحسانٌ وبِرٌّ ، تستحقّ به عونَ الله تعالى ، أما قرابتك فسيناله م الإثمُ العظيم على فِعالهم .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب ليس الواصل بالمكافئ (٥٩٩١) .

(٢) أي : تطعمهم الرَّماد الحارّ . ((شرح صحيح مسلم)) ١٦ : ١١٥ .

(٣) الظهير : المُعين ، والدافع لأذاهم . المرجع السابق .

(٤) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤ : ١٩٨٢ حديث ٢٢ (٢٥٥٨) .

وفي هذا الحديث يحثُّ النبيُّ ﷺ هذا الرجل المترفِّق بقرابته على الاستمرار في ذلك : بصلته ، وإحسانه ، وصبره ، ويبشّره برضا الله تعالى وعونه .

- وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : ((إنَّ الصَّدقةَ على المسكين صدقةٌ ، وعلى ذي الـرَّحِم اثنتـان : صدقةٌ وصِلَةٌ)) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[1].

قال الترمذي : ((حديث حسن)) .

وقال أيضاً : ((وفي الباب عـن زينـب امـرأة عبـد الله بـن مسعود ، وجابر ، وأبي هريرة)) انتهى .

وقد اشتمل هـذا الحـديث عـلى جانـب مهـم مـن الرِّفـق بالأرحام ، وهـو الرِّفـق بالأرحـام المُعْـوِزين ، فحيـنما تكـون ميسور الحال يذكّرك الإسلام بقرابتـك الفقـراء لتترفَّـق بهـم ، ويرغِّبـك في مسـاعدتهم ، ويحثّـك عـلى هـذا العمـل النبيـل ، ويضاعف لك المثوبة فيه .

---

(١) الترمذي : كتاب الزكاة – باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة (٦٥٨) ، والنسائي : كتاب الزكاة – الصدقة على الأقارب (٢٥٨٢) ، وابن ماجه : كتاب الزكاة – باب فضل الصدقة (١٨٤٤) .

٥-الرِّفق بالأصهار :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[١].

والصِّهْر : القريب بالزواج ، ويوصف به فيقال : هو صِهْري ، والجمع : أصهار[٢].

وقد ورد في السُّنَّة الشريفة ما يدُلُّ على استحباب التَّرفُّق بالأصهار :

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : إِنْ كانَتْ أحبَّ أسماءِ عليٍّ رضي الله عنه إليه لأبو تُراب ، وإِنْ كان لَيَفْرَحُ أن يُدْعَى بها ، وما سمَّاه أبو تراب إلا النبيُّ ﷺ ، غاضبَ يوماً فاطمةَ فخرج فاضطجع إلى الجدار إلى المسجد ، فجاءَه النبيُّ ﷺ يَتْبَعُه ، فقال : هو ذا مضطجعٌ في الجدار ، فجاءه النبيُّ ﷺ وامتلأ ظهرُه تراباً ، فجعل النبيُّ ﷺ يمسح التراب عن ظهره، يقول : ((اجلس يا أبا تُراب)) رواه البخاري[٣].

---

(١) سورة الفرقان (٥٤) .

(٢) ((المعجم الوسيط)) مادة (ص هـ ر) .

(٣) البخاري : كتاب الأدب – باب التكنّي بأبي تراب (٦٢٠٤) .

قال ابن بطال : ((وفي هذا الحديث : أن أهل الفضل قد يقع بينهم وبين أزواجهم ما جبل الله عليه البشر من الغضب والحرج، حتى يدعوهم ذلك إلى الخروج عن بيوتهم ، وليس ذلك بعائب لهم ... وفيه من الفقه : الرِّفق بالأصهار ، وترك معاتبتهم))[1].

قال ابن حجر : ((ويحتمل أن يكون سبب خروج علي خشية أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنهما فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن فورة الغضب من كل منهما))[2].

وقال أيضاً : ((فيه : كرم خُلُق النبيِّ ﷺ؛ لأنه توجَّه نحوَ عليٍّ ليترضّاه ، ومسح الترابَ عن ظهره ليبسطه ، وداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته ، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته مع رفيع منزلتها عنده .

فيؤخذ منه : استحباب الرِّفْق بالأصهار ، وتركُ مُعاتبتِهم إبقاءً لمودَّتِهم ؛ لأن العتاب إنما يُخْشَى مِمَّنْ يُخْشَى منه الحِقْد ، لا مِمَّنْ هو مُنَزَّهٌ عن ذلك))[3].

---

(١) ((شرح صحيح البخاري)) لابن بطال ٩ : ٣٥٢- ٣٥٣.

(٢) ((فتح الباري)) ١٠ : ٦٠٤ .

(٣) المرجع السابق .

المبحث الثالث

الرِّفق في العلاقات العامة

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : ((يا عائشة ، إن الله يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه))[1].

وقال ﷺ : ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ))[2].

انطلاقاً من هذين الحديثين ، يمكننا القول : بأن الشئون العامة أوسع مجالات الرِّفق ، فقد جاء الحثُّ على الرِّفق والتّرغيب فيه في جميع الأمور ، وأن الشيء الذي يدخله الرِّفق لا يزداد إلا جودة وحسناً .

ففي كافة الشئون والمواقف ، وفي كل الظروف والأحوال، وفي كل زمان ومكان، ومع الإنسان وغير الإنسان ، يطلب من المسلم أن يكون رفيقاً رقيقاً ، لطيفاً رحيماً ، رؤوفاً عطوفاً ، إلا ما سبقت الإشارة إليه من المواطن التي تقتضي الحكمة أن يكون المسلم فيها على درجة من الشدة والحزم[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤ .

(٢) تقدم تخرجه ص ٥١ .

(٣) ينظر ضوابط الرفق ص ١٠٣ وما بعدها .

فالمسلم كما هو رفيق مع أهله وأحبابه ، رفيق مع جيرانه ، ومع زملائه ، ومع من تربطهم به أدنى علاقة ، ومع من يلتقي بهم في الشارع أو في السوق ، أو في وسيلة نقل ، أو في أي مكان آخر .

فهو الرَّفيق سواء أكان طالباً أم أستاذاً ، تاجراً أم مستهلكاً، مديراً أم موظفاً ، أجيراً أم ربَّ عمل ، خادماً أم مخدوماً ، حاكماً أم محكوماً .

وهاك صوراً شتى من الرِّفق في المجال العام قد أرشدت إليها السنة المطهَّرة، مع التنبُّه إلى أن ما سأذكره مجرد أمثلة يقاس عليها غيرها، وهي بدورها تدل على أصل مهم في أسلوب التّعامل عند المسلمين في ضوء دينهم الحنيف .

١-رفق الولاة بالرَّعية :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمِعْتُ مِنْ رسولِ الله ﷺ يقول في بيتي هذا: ((اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شيئاً فشَقّ عليهم ، فاشْقُقْ عليه ، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أُمَّتي شيئاً فرَفَقَ بهم ، فارْفُقْ به)) أخرجه مسلم[1].

---

(١) مسلم : كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل ... ٣ : ١٤٥٨ حديث ١٩ (١٨٢٨).

وبوّب له النوويُّ : (باب فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر ، والحثّ على الرِّفق بالرَّعيَّة ، والنهي عن إدخال المَشقّة عليهم) .

وعلَّق عليه بقوله : ((هذا من أبلغ الزواجر عن المشقَّة على الناس ، وأعظمِ الحثِّ على الرِّفق بهم ، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى))[1].

وبلغ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيّته اشتكَوْا من عُمّاله ، فأمرهم أن يوافوه ، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيتها الرّعية إن لنا عليكم حقاً : النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير . أيتها الرُّعاة ، إن للرعية عليكم حقاً ، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلمِ إمامٍ ورِفقه ...[2].

وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى يخطب يقول : ((إنَّ مِن أحبِّ الأمور إلى الله : القصدَ في الجِدَة[3]، والعفوَ في

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٢ : ٢١٣ .

(٢) ((إحياء علوم الدين)) ٣ : ١٩٨.

(٣) معناه : الاستقامة والاعتدال في الإنفاق مع وجود المال ، فلا تبذير ولا تقتير. انظر ((القاموس)) مادتي (ق ص د) (و ج د) .

المقدرة ، والرِّفقَ في الولاية ، وما رفَقَ عبدٌ بعبدٍ في الدنيا إلا رفَقَ الله به يوم القيامة)) أخرجه ابن أبي شيبة[1].

وروى أحمد بن يزيد المُهَلَّبي عن أبيه قال : قال لي المتوكِّل يوماً : يا مُهَلَّبي ، إن الخلفاء كانت تتصعَّبُ على الرَّعِيَّة لتطيعها، وأنا ألين لهم ليجيئوني ويطيعوني[2].

وعن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّر أميراً على جيش أو سَرِيَّةٍ أوصاه في خاصَّتِه بتقوى الله ، ومَنْ معه من المسلمين خيراً ...)) الحديث أخرجه مسلم[3].

قال الإمام النووي يرحمه الله : ((في هذه الكلمات من الحديث ... استحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى ، والرِّفقِ بأتباعهم ...))[4].

وكان من رفقه ﷺ بأصحابه أنه كان حريصاً على طَمْأنتهم وإيناسهم ، ودفع الخوف والفزع عنهم :

---

(١) ((المصنَّف)) ٧ : ١٨٢ (٣٥٠٧٨) .

(٢) ((تاريخ بغداد)) ٧ : ١٦٦ .

(٣) مسلم : كتاب الجهاد والسير – باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ... ٣: ١٣٥٧ حديث ٣ (١٧٣١) .

(٤) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٢ : ٣٧.

عن أنس رضي الله عنه قال : كان النَّبـيُّ ﷺ أحسـنَ النَّـاسِ وأجودَ النَّاسِ وأشجعَ النَّاسِ ، ولقد فزع أهلُ المدينـةِ ذاتَ ليلـةٍ فانطلقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فاستقبلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قد سبَقَ النَّاس إلى الصَّوت وهو يقول: ((لم تُرَاعُوا ، لم تُرَاعُوا)) وهو على فرس لأبي طلحةَ عُرْيٍ ما عليه سَرْجٌ ، في عنقِه سَيْف ... الحديث[1].

قال ابن حجر : ((قوله : (فاستقبلهم النبي ﷺ قـد سـبق الناس إلى الصوت) أي: أنه سبق فاستكشف الخبرَ فلم يجد ما يُخاف منه فرجع يُسَكِّنُهم . وقوله : (لم تراعوا) هي كلمة تقال عند تسكين الرَّوْع ؛ تأنيساً وإظهاراً للرِّفْق بالمخاطَب))[2].

وكان ﷺ ينظر في مصالح أصحابه ، ويأمرهم بـما فيـه رفـق بهم : عن جابر رضي الله عنه قال : بلغَ النبـيَّ ﷺ أنَّ رجـلاً مـن أصحابِه أعتقَ غلاماً عن دُبُرٍ[3]، لم يكُنْ له مالٌ غيرَه ، فباعَه بـثمانِ مئةِ دِرْهَم، ثم أرسل بثمنه إليه . رواه البخاري ومسلم[4].

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب حسن الخلق والسخاء .. (٦٠٣٣) .

(٢) ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٧٢ .

(٣) أي : بعد موته، يقال : دبَّرتُ العبد إذا علَّقْتَ عتقَه بموتك. ((النهاية)) ٢ : ٩٨.

(٤) البخاري : كتاب الأحكام – باب بيع الإمام على الناس أموالَهم وضياعَهم (٧١٨٦) ، ومسلم : كتاب الأَيْمان – باب جواز بيع المدبَّر ٣ : ١٢٨٩ حديث (٩٩٧).

قال النووي : ((في هذا الحديث : نَظرُ الإمـامِ في مصـالحِ رعيّتِه ، وأمرُه إياهم بما فيه الرِّفق بهم ، وبإبطاله ما يَضُرُّهم من تصرُّفاتِهم التي يمكن فسخُها))[1].

وحذَّر ﷺ الولاة والمسئولين من نقيض الرِّفق :

عن جُنْدُبِ بنِ عبـدِ الله الـبَجَليِّ رضي الله عنـه في حـديث مرفوع ، جاء فيه : ((ومن شاقَّ شَقَّ الله عليه يوم القيامة ...)) الحديث ، رواه البخاري[2].

قال ابن حجر : ((المعنى : مَن أدخل على النـاس المشـقَّة ، أدخل الله عليه المشـقَّة، فهـو مـن الجـزاء بجـنس العمـل))[3] انتهى.

٢-رفق الرَّعية مع الولاة :

ومن أبرز صور الرِّفق مع الولاة : التّلطُّف عنـد نُصْـحِهم وتذكيرهم .

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١١ : ١٤٢.

(٢) البخاري : كتاب الأحكام – باب من شاقّ شقَّ اللّه عليه (٧١٥٢) .

(٣) ((فتح الباري)) ١٣ : ١٣٨.

عــن تَمِــيمٍ الــداري رضي الله عنــه ، أن النَّبــيَّ ﷺ قــال : ((الــدِّينُ النصــيحةُ)) قلنــا : لِمَــنْ ؟ قــال : ((لله ، ولكتابــه ، ولرسوله، ولأئمة المسلمين ، وعامَّتِهم)) رواه مسلم[1].

قــال النــووي : ((وأمــا النصــيحة لأئمــة المســلمين : فمعاونتُهم على الحقِّ ، وطاعتُهم فيه ، وأمرُهم بـه ، وتنبـيهُهم وتذكيرُهم برِفْقٍ ولُطْفٍ ...))[2].

وقال أيضاً : ((ويرفق ـ أي : الناصح ـ في التغيير جهـده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخـوف شره ؛ إذ ذلـك أدعـى إلى قبول قوله))[3].

وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : مـا الرِّفـق ؟ قـال : تكون ذا أَناةٍ فتلاين الولاة . قال : فـما الخـرق ؟ قـال : معـاداة إمامك ، ومناوأة من يقدر على ضررك[4].

٣-الرِّفق في التعليم :

ويشمل : رفق المعلِّمين ، ورفق المتعلِّمين

(١) مسلم : كتاب الإيمان – باب بيان أن الدين النصيحة ١ : ٧٤ حديث ٩٥ (٥٥)

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٣٨ .

(٣) ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٢٥ .

(٤) ((إحياء علوم الدين)) ٣ : ١٩٨.

فـاليوم تعـاني عمليـة التّعلـيم مـن أزمـات ، وتصـادفها عقبات، ربما يرجع السبب في كثير منها إلى إهمال الرِّفق .

وحينما نعيد إلى الأذهان قول المصـطفى ﷺ : ((إنَّ الرِّفْـقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَـهُ ، ولا يُنْـزَعُ مـن شيءٍ إلا شـانَهُ))[1]، ونستذكر سيرته العطرة في الدعوة والتعليم ، ندرك أهمية الرِّفق في هذا المجال ، ونجزم بأنه لا إصلاح لواقعنا التعليمي بدونه .

إن الرِّفق مطلوب من المعلِّمين تجاه المتعلِّمين ، كما هو مطلوب من المتعلِّمين تجاه معلِّميهم ، وفي السُّنَّة الشريفة إرشادات قيّمة في باب الرِّفق لكلٍّ من المعلِّم والمتعلِّم ، يتحقَّق بالالتزام بها الفلاح والنجاح ، وتؤتي عملية التعليم ثمارها المرجوّة بإذن الله تعالى ، ومن ذلك :

-المبادرة إلى التعليم بأسلوب حسن :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً توضَّـأ فـترك موضع ظُفُرٍ على قدمِه ، فأبصـــــره النبيُّ ﷺ فقال : ((اِرْجِعْ فأَحْسِنْ وُضوءَكَ)) ، فرجَع ، ثم صلَّى . أخرجه مسلم[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥١ .

(٢) مسلم : كتاب الطهارة – باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة ١ : ٢١٥ حديث ٣١ (٢٤٣) .

قال النووي : (فيه : تعليم الجاهل والرِّفق به)[1].

-حرص المعلِّم على إفادة المتعلِّم وإن أساء :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النَّبيُّ ﷺ في مجلسٍ يُحدِّث القومَ جاءه أعرابيٌّ فقال : متى السَّاعة ؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ ، فقال بعضُ القوم : سمع ما قال ، فكَرِه ما قال، وقال بعضُهم : بل لم يسمع . حتَّى إذا قضى حديثَه قال: ((أين – أُرَاهُ – السَّائلُ عن السَّاعة ؟)) . قال : ها أنا يا رسول الله . قال : ((فإذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظِرِ السَّاعةَ)) . قال : كيف إضاعتُها ؟ قال : ((إِذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر السَّاعةَ)) رواه البخاري[2].

وبوَّب له البخاري بقوله : (باب من سُئِل علماً وهو مشتغل في حديثه ، فأتمَّ الحديثَ ثم أجاب السائل) .

قال ابن حجر : ((مُحَصِّلُه التنبيهُ على أدب العالم والمتعلِّم :

أما العالم : فلِـمَا تضمَّنَه مِن تَرْكِ زَجْرِ السائل ، بل أدَّبه بالإعراض عنه أولاً ، حتى استوفى ما كان فيه ، ثم رجع إلى

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ٣ : ١٣٢ .

(٢) البخاري : كتاب العلم – باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه ... (٥٩).

جوابه فرفَق به ؛ لأنه من الأعراب وهم جُفاة، وفيه : العناية بجواب سؤال السائل ، ولو لم يكن السؤال متعيِّناً ولا الجواب.

وأما المتعلِّم : فلِما تضمَّنه من أدب السائل أن لا يسألَ العالِمَ وهو مشتغلٌ بغيره؛ لأن حقَّ الأول مقدَّم))[1].

-التدرُّج في التعليم ، ومراعاة حال المبتدئ بالاقتصار على تعليمه المُهِمّات ، مع الاختصار وحسن العرض :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ دخل المسجدَ، فدخل رجلٌ فصلَّى ، فسلَّم على النَّبيِّ ﷺ فردَّ ، وقال : ((ارجِع فصلِّ ، فإنك لم تُصَلِّ)) . فرجع يُصلِّي كما صلَّى ، ثم جاء فسلَّمَ على النَّبيِّ ﷺ فقال : ((ارجِعْ فَصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ)) ثلاثاً . فقال : والذي بعثَكَ بالحق ما أُحْسِنُ غيرَه ، فعَلِّمْني . فقال : ((إذا قُمْتَ إلى الصَّلاة فكبِّرْ ، ثم اقرأ ما تيسَّر معكَ من القرآن ، ثم اركع حتى تَطْمَئِنَّ راكعاً ، ثم ارفَع حتى تَعْتدِلَ قائماً ، ثم اسجُد حتى تَطْمَئِنَّ ساجداً ، ثم ارفع حتى تَطْمَئِنَّ جالساً ، وافعَلْ ذلك في صلاتِك كلِّها)) رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) ((فتح الباري)) ١ : ١٧١.

(٢) البخاري : كتاب الأذان – باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ... (٧٥٧) ، ومسلم: كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ...١ : ٢٩٨ حديث ٤٥ (٣٩٧) .

قال النووي : ((فيه : الرِّفق بالمتعلِّم والجاهل ، وملاطفتُه، وإيضاحُ المسألة ، وتلخيصُ المقاصد ، والاقتصارُ في حقِّه على المهمِّ ، دون المكمِّلات التي لا يحتمل حالُه حفظَها والقيامَ بها))[1].

-تحيُّن أوقات النشاط للتَّعليم :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النَّبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموعظة في الأيام ، كراهةَ السَّآمَةِ علينا . رواه البخاري ومسلم[2].

قال المباركفوري : ((المقصود بيان رِفْق النبي ﷺ بالأمَّة وشفَقَتِه عليهم ؛ ليأخذوا منه بنشاطٍ وحِرْصٍ ، لا عن ضَجَرٍ وملَلٍ))[3].

-حثُّ المعلم المتعلِّم بأسلوب رفيق :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النَّاس يَنْتابُون يوم الجمُعة من منازلِهم والعوالِي ، فيأتُون فِي الغُبَار ، يُصِيبُهم الغُبارُ والعَرَقُ ، فيخرجُ منهم العَرَقُ ، فأتَى رسولَ الله ﷺ إنسانٌ

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ٤ : ١٠٨.

(٢) البخاري : كتاب العلم – باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (٦٨) ، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – باب الاقتصاد في الموعظة ٤ : ٢١٧٢ حديث ٨٢ (٢٨٢١) .

(٣) ((تحفة الأحوذي)) ٨ : ١٢١.

منهم -وهو عندي - فقال النبيُّ ﷺ : ((لو أنَّكُم تَطَهَّرْتُم لِيْومِكُم هذا)) أخرجه البخاري(١).

قال ابن حجر : ((وفي هذا الحديث من الفوائد أيضاً : رفق العالم بالمتعلّم...))(٢).

-التعليم الناجح هو الذي لا تعنيف فيه ولا تجريح :

عن معاويةَ بن الحكَمِ السُّلَميِّ قال : بَيْنا أنا أُصلِّي مع رسول الله ﷺ إذْ عطَس رجلٌ من القوم فقلتُ : يرحمك الله . فرماني القومُ بأبصارهم ، فقلتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاه! ما شأنكم تنظرون إليَّ ؟! . فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذِهم ، فلما رأيتُهم يُصَمِّتُونني ، لكنّي سكتُّ(٣).

فلما صلَّى رسولُ الله ﷺ فبأبي هو وأمّي ، ما رأيْتُ مُعَلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه ، فوالله ما كَهَرَني(٤) ولا ضربَني ولا شتمني ، قال : ((إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصلُحُ فيها شَيءٌ مِنْ

(١) البخاري : الجمعة – باب من أين تؤتى الجمعة (٩٠٢) .

(٢) ((فتح الباري)) ٢ : ٤٤٩ .

(٣) المعنى : فلما رأيتهم يسكتونني غضبتُ وتغيرتُ لكني صمتُّ .

(٤) الكَهْر : الانتهار . ((النهاية)) ٤ : ٢١٢ .

كلامِ النَّاسِ ، إنَّما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القرآن)) . أو كما قال رسولُ الله ﷺ ... الحديث رواه مسلم[1].

قال النووي : ((فيه : بيانُ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من عظيم الخُلُق الذي شهد الله تعالى له به ، ورِفْقِه بالجاهل ، ورأفتِه بأمَّتِه ، وشفقتِه عليهم ، وفيه : التخلُّق بخلُقِه ﷺ في الرِّفْق بالجاهل ، وحُسْنِ تعليمِه ، واللُّطْفِ به ، وتقريبِ الصواب إلى فهمه))[2].

-تنبيه المخطئ على خطئه من غير تشهير به :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواجِ النَّبي ﷺ يسألون عن عبادةِ النَّبي ﷺ ... وفيه : فجاء رسولُ الله ﷺ فقال : ((أنتم الَّذين قلتم كذا وكذا ...)) الحديث[3].

قال ابن حجر : ((قوله : ((فجاء إليهم رسولُ الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم)) في رواية مسلم : فبلغ ذلك النبي ﷺ

---

(١) مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١ : ٣٨١ حديث ٣٣ (٥٣٧) .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٥ : ٢٠ .

(٣) البخاري : كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣) ، ومسلم : كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ... ٢ : ١٠٢٠ حديث ٥ (١٤٠١) .

فحمد الله وأثنى عليه وقال : ((ما بال أقوام قالوا كذا)) ، ويجمع بأنه منعَ من ذلك عموماً جهراً مع عدم تعيينهم ، وخصوصاً فيما بينه وبينهم رفقاً بهم وستراً لهم))[1].

-الصَّبر على إلحاح الطّالب وكثرة أسئلته :

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال : سألتُ النَّبيَّ ﷺ : أيُّ العمل أَفْضَلُ ؟ ، قال : ((إيمانٌ بالله ، وجهادٌ في سبيله)) . قلتُ : فأيُّ الرِّقابِ أَفْضَلُ ؟ قال : ((أغلاها ثمناً، وأَنْفَسُها عند أَهْلِها)) . قلتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ . قال : ((تُعِينُ صانعاً ، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[2])) . قال : فإن لم أَفْعَلْ ؟ قال : ((تَدَعُ النَّاسَ من الشَّرِّ ، فإنَّها صدقةٌ تَصَدَّقُ بها على نفسك)) أخرجه البخاري ومسلم[3].

قال ابن حجر : ((وفي الحديث : حُسْنُ المراجعة في السؤال ، وصبرُ المفتي والمعلِّمِ على التلميذ ، ورِفْقُه به))[4].

---

(١) ((فتح الباري)) ٩ : ٧ .

(٢) الأخرق : هو الذي ليس بصانع ، ولا يحسن العمل . ((فتح الباري)) ٥ : ١٧٧- ١٧٨ .

(٣) البخاري : كتاب العتق – باب أي الرقاب أفضل (٢٥١٨) ، ومسلم : كتاب الإيمان – باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١ : ٨٩ حديث ١٣٦ (٨٤) .

(٤) ((فتح الباري)) ٥ : ١٧٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النَّبي ﷺ إذ جاءه رجلٌ ، فقال : يا رسول الله هلَكْتُ . قال : ((مالك؟)) قال : وقَعْتُ على امرأتي وأنا صائم . فقال رسول الله ﷺ : ((هل تجد رقبةً تُعْتِقُها ؟)) . قال : لا . قال : ((فهل تستطيعُ أن تصومَ شهرين متتابعَيْن ؟)) . قال : لا . فقال : ((فهل تجِدُ إطعامَ ستِّين مسكيناً؟)) قال : لا . قال : فمكثَ النَّبيُّ ﷺ .

فبينا نحن على ذلك أُتِي النَّبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تمرٌ - والعَرَقُ: المِكْتَل - قال : ((أين السَّائل ؟)) . فقال : أنا . قال : ((خُذْها فتصدَّقْ به)) فقال الرجل : أَعَلَى أفقرَ مِنِّي يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتَيْها - يريدُ الحرَّتين - أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهل بيتي ، فضحِكَ النَّبيُّ ﷺ حتى بدَتْ أنيابُه ، ثم قال : ((أَطْعِمْه أهلك)) رواه البخاري ومسلم[1].

قال ابن حجر : ((وفيه : الرِّفْق بالمتعلِّم ، والتَّلَطُّف في التعليم ، والتَّأَلُّف على الدِّين ...))[2].

---

(١) البخاري : كتاب الصوم – باب إذا جامع في رمضان ... (١٩٣٦) ، ومسلم : كتاب الصيام – باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ... ٢ : ٧٨١ (١١١١) .

(٢) ((فتح الباري)) ٤ : ٢٠٤ .

-معالجة الأخطاء برفق وأسلوب حسن :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابيٌّ فبال في المسجد فتناولَه النَّاسُ ، فقال لهم النبيُّ ﷺ : ((دَعُوه وَهَرِيقُوا على بوله سَجْلاً من ماء -أو : ذَنُوباً من ماء -فإنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين ، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين)) رواه البخاري[1].

-التلطُّف من المتعلِّم في السؤال ، والاهتمام من المعلِّم بإجابته .

عن أبي رِفاعةَ العَدَويِّ قال : انتهَيْتُ إلى النَّبي ﷺ وهو يخطُب، قال : فقلتُ : يا رسول الله ، رجلٌ غريبٌ جاء يسألُ عن دينه ، لا يدري ما دينُه ، قال : فأقبلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ ، فأُتي بكرسيٍّ حَسِبْتُ قوائمَه حديداً ، قال : فقعدَ عليه رسولُ الله ﷺ وجعلَ يُعلِّمُني مما علَّمه الله ، ثم أتى خطبتَه فأتمَّ آخرَها . رواه مسلم[2].

قال النووي : ((فيه : استحبابُ تَلطُّفِ السائل في عبارته وسؤالِه العالم ، وفيه: تواضعُ النبيِّ ﷺ ، ورِفْقُه بالمسلمين ، وشفقتُه عليهم ، وخفضُ جناحِه لهم))[3].

---

(١) تقدم تخرجه ص ٥٢ .

(٢) مسلم : كتاب الجمعة – باب حديث التعليم في الخطبة ٢ : ٥٩٧ (٨٧٦) .

(٣) البخاري : كتاب الوضوء – باب صبِّ الماء على البول في المسجد (٢٢٠) .

-عدم إرهاق المعلِّم بالإلحاح وكثرة الأسئلة :

عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله ؟ قَالَ : ((الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)) . قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ((ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ)) . قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) قَالَ : حَدَّثَني بِهِنَّ ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي . رواه البخاري ومسلم[1].

قال النووي : ((فيه : رِفْقُ المتعلِّم بالمعلِّم ، ومراعاةُ مصالحه ، والشَّفقةُ عليه ؛ لقوله : فما تركتُ أستزيده إلا إرعاءً عليه[2]))[3].

وقال ابن حجر : ((فيه : السؤالُ عن مسائلَ شتّى في وقتٍ واحد ، والرِّفْقُ بالعالِمِ ، والتوقُّفُ عن الإكثار عليه خشيةَ مَلالِه، وما كان عليه الصحابةُ من تعظيمِ النبيِّ ﷺ والشَّفقةِ عليه ، وما كان هو عليه من إرشادِ المسترشدين ولو شَقَّ عليه))[4].

---

(١) البخاري : كتاب مواقيت الصلاة – باب فضل الصلاة لوقتها (٥٢٧) ، ومسلم : كتاب الإيمان – باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ١ : ٩٠ حديث ١٣٩ (٨٥) .

(٢) جاءت هذه الجملة في إحدى روايات الحديث عند مسلم : ١ : ٨٩ حديث ١٣٧ (٨٥) ومعنى (إرعاء): إبقاء ورفقاً . ((النهاية)) ٢ : ٢٣٦ .

(٣) ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٧٩ .

(٤) ((فتح الباري)) ٢ : ١٤.

٤-الرِّفق في النصيحة :

عـن تَمِـيمٍ الـداري رضي الله عنـه ، أن النَّبِـيَّ ﷺ قـال : ((الدِّينُ النصيحةُ)) الحديث ، رواه مسلم[١].

والنصيحة : هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح ، والنهي عما فيه الفساد[٢].

وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي حازت هذه الأمة بسببه الخيرية، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٣]، واستحقَّت أمة أخرى اللّعن على لسان الأنبياء بسبب تقصيرها فيه ، فقال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٤].

---

(١) تقدم تخرجه ص ١٣٣ .

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني ص ٣٠٩.

(٣) الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران .

(٤) الآيتان رقم ٧٨ - ٧٩ من سورة المائدة

وقـد دلَّ حـديث : ((الـدين النصـيحة)) عـلى ضرورة الإخلاص حال القيام بهذا الواجب ، ففـي اللغـة : الناصـح : الخالص من كل شيء[1].

وبناء عليه ينبغي أن يخلص الناصح في أمره ونهيه ، وأن يتحرَّكَ من منطلق الحرص على هداية الآخرين ، ومحبة إيصال الخير لهم ، ورغبة انتشالهم من الموبقات، وهذا لا يتأتّى إلا إذا كان الناصح متخلِّقاً بأخلاق الحبيب المصطفى ﷺ ، الذي قال الله تعالى فيه : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ مُّبِينٍ﴾[2].

وليبتعد الناصح عن الغلظة والمخاشنة، لما يترتَّب على ذلك من النُّفرة وعدم الإفادة من النصيحة، وربما ولّدت الكراهية وأغلقت الباب تماماً دون المنصوح، يقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[3].

(١) ((المعجم الوسيط)) مادة (ن ص ح) .

(٢) الآية رقم ١٢٨من سورة التوبة .

(٣) الآية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

وخير دليل على ضرورة الرِّفق في النصيحة قولُ الله تعالى لموسى وهارون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام حين أرسلهما لدعوة فرعون : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1] علماً بأنه لا جحود كجحود فرعون ؟ ولا عناد يصل إلى عناده ؟ ولا معصية تداني كفره ؟

قال الإمام النووي : ((وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ؛ ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب ، فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه))[2].

وقال أيضاً : ((وأما نصيحة عامة المسلمين - وهم من عدا ولاة الأمر - فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكفُّ الأذى عنهم ، فيعلِّمُهم ما يجهلونه من دينهم ، ويُعِينُهم عليه بالقول والفعل ، وسترُ عوراتهم ، وسدُّ خَلاتهم ، ودفعُ المضارِّ عنهم ، وجلبُ المنافع لهم ، وأمرُهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفقٍ وإخلاص ، والشفقةُ عليهم ...))[3].

---

(١) الآية رقم ٤٤ من سورة طه .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٢٤.

(٣) ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٣٩ .

ولما قال الضَّحّاكُ بن قيس عامَ حجَّ معاويةُ بنُ أبي سفيان رضي الله عنه متمتِّعاً : لا يفعل ذلك إلا مَن جهل أمرَ الله عزَّ وجل ، أجابه سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه: بئس ما قلتَ يا ابن أخي . فقال الضّحّاك : فإنَّ عمر ابن الخطّاب قد نهى عن ذلك . فقال سعد : قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه. أخرجه مالك[1].

قال ابن عبد البر : ((وفي إنكار سعدٍ على الضَّحاك قولَه دليلٌ على أن العالم يلزمه إنكارُ ما سمعه من كلِّ قولٍ يضاف به إلى العلم ما ليس بعلم إنكاراً فيه رفقٌ وتؤدة))[2].

وجاء في رسالة سفيان الثوري إلى عبّاد بن عبّاد : ((... فإن استطعت أن تأمر بخيرٍ في رفقٍ ، فإن قُبِل منكَ حمدتَ الله عزَّ وجلَّ ، وإن رُدَّ عليك أقبلْتَ على نفسك ، فإنَّ لك فيها شغلاً))[3].

٥-الرِّفق بالضعيف :

ويشمل : الخادم ، والمريض ، ومن حلَّت به مصيبة ، والعدوّ بعد الظَّفر به ، والأسير .

(١) ((الموطأ)) ١ : ٣٤٤ (٦٠) .

(٢) ((الاستذكار)) ٤ : ٩٤ .

(٣) ((الجرح والتعديل)) ١ : ٨٧ .

فأما الخادم _ ويقاس عليه كلُّ مَن كـان في حكمـه كـالأجير ونحوه _ فقد جاءت الأحاديث الشريفة ترغِّب بالرِّفق بالضعفاء عموماً ، لأن حال الضعيف أدعى لرحمته والعطف عليه ، وجـاء الوعد بالثواب الجزيل لمن تلطَّف بالضعفاء ورفق بهم :

فعن جـابر رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : ((ثلاثٌ من كُنَّ فيه ستر الله عليـه كنفـه ، وأدخلـه جنتـه : رفـقٌ بالضَّعيف، وشفقةٌ عـلى الوالـدين ، وإحسـانٌ إلى المملـوك)) رواه الترمذي وقال : ((هذا حديث حسن غريب))[1].

ومن أروع الشواهد على الرِّفق بالخادم :

ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قـال : خـدَمْتُ النَّبـيَّ ﷺ عشر سنين ، فـما قـال لي أُفٍّ . ولا : لِمَ صـنعْتَ ؟ ولا : أَلاَّ صنعْتَ ؟ . رواه البخاري ومسلم[2].

وفي رواية عند مسلم : ولا عابَ عليَّ شيئاً قطُّ .

قال النووي : ((وفي هذا الحديث بيانُ كمالِ خلُقِه ﷺ ، وحُسْنِ عِشْرتِه وحِلْمِه وصَفْحِه))[3].

---

(١) الترمذي : كتاب صفة القيامة – باب (٤٨) حديث (٢٤٩٤) .

(٢) البخاري : كتاب الأدب – باب حسن الخلق والسخاء ... (٦٠٣٨) ، ومسلم: كتاب الفضائل – باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ٤ : ١٨٠٤ (٢٣٠٩).

(٣) ((شرح صحيح مسلم)) ١٥ : ٧١ .

ومن الأدلّة على الرِّفق بالخادم ومن في حكمه :

ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : ((مَنْ لَطَمَ مملوكَه أو ضربَه فكفَّارتُه أن يُعْتِقَه)) رواه مسلم[1].

ونقل النووي عن العلماء قولهم : ((في هذا الحديث : الرِّفقُ بالمماليك ، وحُسْنُ صحبتهم ، وكفُّ الأذى عنهم))[2].

وعن أبي مسعود البدري قال : كنتُ أضرِبُ غلاماً لي بالسَّوْط فسمِعْتُ صوتاً مِنْ خَلْفي : ((اِعْلَم أبا مسعود)) . فلم أفهم الصوتَ من الغضب ، قال : فلمَّا دنا منِّي إذا هو رسولُ الله ﷺ، فإذا هو يقول : ((اِعْلَمْ أبا مسعود ، اِعْلَمْ أبا مسعود)) . قال : فألقَيْتُ السَّوْطَ من يدي فقال : ((اِعْلَم أبا مسعود أنَّ اللهَ أَقْدَرُ عليكَ منكَ على هذا الغلام)) .

---

(١) مسلم : كتاب الأَيمان – باب صحبة المملوك .. ٣ : ١٢٧٨ حديث ٢٩ (١٦٥٧) .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١١ : ١٢٧.

قال : فقلتُ : لا أضرب مملوكاً بعده أبداً . رواه مسلم[1] .

قال النووي : ((فيه : الحثُّ على الرِّفق بالمملوك ، والوعظُ والتنبيهُ على استعمال العفو وكظْمِ الغيظ ...))[2] .

وعن المَعْرور بن سُوَيد قال : رأيتُ أبا ذَرٍّ الغفاريَّ رضي الله عنه وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حُلَّةٌ فسألناه عن ذلك ؟ فقال : إنّي سابَبْتُ رجلاً فشكاني إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال لي النَّبيُّ ﷺ : ((أعَيَّرْتَه بأُمِّه ؟!)) . ثم قال : ((إنَّ إخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تحت أيديكم ، فمَنْ كان أخوه تحت يده فَلْيُطْعِمْه ممَّا يأْكُل ، وَلْيُلْبِسْه مِمَّا يَلْبَس ، ولا تُكَلِّفُوهم ما يَغْلِبُهم ، فإنْ كَلَّفْتُموهم ما يَغْلِبُهم فأَعِينوهم)) رواه البخاري ومسلم[3] .

قال ابن حجر : ((وفي الحديث : النَّهيُ عن سبِّ الرَّقيق ، وتعييرِهم بمن ولدَهم، والحثُّ على الإحسان إليهم والرِّفْقِ

---

(١) مسلم : كتاب الأَيمان – باب صحبة المملوك .. ٣ : ١٢٨٠ حديث ٣٤ (١٦٥٩) .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١١ : ١٣٠ .

(٣) البخاري : كتاب العتق – باب قول النبي ﷺ: العبيد إخوانكم .. (٢٥٤٥)، ومسلم: كتاب الأَيمان – باب إطعام المملوك مما يأكل ... ٣ : ١٢٨٢ (١٦٦١) .

بهم ، ويلتحق بالرَّقيق : مَن في معناهم من أجيرٍ وغيرِه))[1].

وأما المريض : فقد اعترته حالة من الضعف ، فيطلب ممن قام على تمريضه أو جاء لعيادته ، أن يكون لطيفاً رفيقاً بحاله ، وقد استنبط العلماء من الأحاديث الواردة في عيادة المريض جملة آداب ، يرجع قسم كبير منها إلى الرِّفق المطلوب في حقِّ المريض، ومن ذلك : التلطُّف في خدمته ، والاستئذان عليه برفق ، وعدم الإلحاح عليه في سؤال أو نحوه ، وعدم إجهاده بكثرة الكلام ، وتخفيف الجلوس عنده ، وعدم الحضور إليه في وقت لا يُعاد فيه ، وإظهار الرِّقَّة له ، والدعاءُ له ، والتوسيع له في الأمل ، والإشارة عليه بالصبر[2].

وأما المُصاب : فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لامرأةٍ من أهله: تعرفين فلانة ؟ قالت : نعم . قال : فإنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ بها وهي تَبْكي عند قبرٍ فقال : ((اتَّقي الله واصْبِري)) . فقالت : إليكَ عنِّي ، فإنَّكَ خِلْوٌ من مُصِيبتي . قال : فجاوَزَها ومَضَى .

---

(١) ((فتح الباري)) ٥ : ٢٠٧ .

(٢) يراجع لذلك ما كتب في آداب عيادة المريض ، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) ١٠ : ١٣١- ١٣٢ .

فمرَّ بها رجلٌ فقال : ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ ؟ .

قالت : ما عرَفْتُه !

قال : إنه لرسولُ الله ﷺ .

قال : فجاءَتْ إلى بابه فلـم تَجِـدْ عليـه بوَّابـاً ، فقالـت : يـا رسول الله ، والله ما عرَفْتُكَ .

فقـــال النَّبـيُّ ﷺ : ((إنَّ الصَّـــبرَ عِنْـدَ أَوَّلِ صَـدْمَةٍ)) . رواه البخاري ومسلم[1].

ولفظه عند مسلم : فلما ذهب قيل لها : إنه رسـول الله ﷺ، فأخذها مثلُ الموت ، فأتَتْ بابَه ... الحديث .

قال ابن حجر : ((وفي هذا الحديث مـن الفوائـد غـيرِ مـا تقدَّم : ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التَّواضُعِ ، والرِّفْـق بالجاهل ، ومسامحةِ المُصاب ، وقبولِ اعتذاره....))[2].

وأما العدو : فبعد الظَّفَر به والتمكُّن منه يأتي الأمر النبوي بالرِّفق به :

---

(١) البخاري : كتاب الأحكام – باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب (٧١٥٤)، ومسلم : كتاب الجنائز – باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ٢ : ٦٣٧ حديث ١٥ (٩٢٦) .

(٢) ((فتح الباري)) ٣ : ١٧٩ عند شرح حديث (١٢٨٣) .

عن سَلَمَةَ بنِ الأَكْـوَع رضي الله عنـه قـال : خرجْـتُ مـن المدينةِ ذاهباً نحوَ الغابة ، حتى إذا كُنْتُ بِثَنِيَّةِ الْغَابَةِ لَقِيَني غـلامٌ لِعبد الرحمن بن عَوْف ، قلتُ : وَيْحَكَ ! مَا بِكَ؟ قال : أُخِـذَتْ لِقَاحُ[1] النَّبيِّ ﷺ . قلتُ : مَنْ أخذها ؟ قال : غَطَفـانُ وفَـزارةُ . فصرخْتُ ثلاثَ صَرَخاتٍ أسمعْتُ ما بين لابَتَيْها : يا صباحاه، يا صباحاه . ثم اندفعْتُ حتى ألقاهم وقد أخـذُوها ، فجعلـتُ أَرْمـيهم وأقـول : أنـا ابـنُ الأَكْـوَع ، واليـومُ يـومُ الرُّضَّـعِ ، فاستنقَذْتُها منهم قبلَ أن يشربوا ، فأقبلْتُ بها أسـوقُها، فلَقِيني النَّبـيُّ ﷺ فقلـتُ : يـا رسـولَ الله ، إن القـومَ عِطـاش ، وإني أَعْجَلْتُهم أن يشربوا سِقْيَهُم ، فابعَثْ في إِثْـرِهِم ، فقـال : ((يـا ابنَ الأَكْوَع ، ملكْتَ فأَسْجِحْ . إنّ القومَ يُقْـرَوْن في قـومهم)) رواه البخاري ومسلم[2].

قال النووي : ((قوله ﷺ (ملَكْتَ فأَسْجِحْ) ... معناه : فأَحْسِـنْ وارْفُـقْ ، والسَّـجَاحةُ : السُّـهولة ، أي : لا تأخـذ

(١) اللِّقـاح : واحـدها لِقْحـة ، وهـي ذات اللـبن قريبـة العهـد بـالولادة . ((شـرح صحيح مسلم)) ١٢ : ١٧٣ .

(٢) البخاري : كتاب الجهاد والسير – باب من رأى العدو فنادى ... (٣٠٤١) ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير – باب غزوة ذي قَرَد وغيرها ٣ : ١٤٣٢ حديث ١٣١ (١٨٠٦) .

بالشِّـدَّة، بـل ارْفُـقْ ؛ فقـد حصَـلَتْ النِّكايَـةُ في العـدُوِّ ، ولله الحمد))[1].

وأما الأسير : فـإن الإسـلام ديـن الرِّفـق بكـلِّ مـا تحملـه الكلمة من معنى ؛ ليشمل هذا الرِّفق أسير الحرب الـذي كـان من قريب يحمل السلاح في وجوهنا ، ويقصد الإيقاع بنا .

وقد عرف المسلمون هذا الحقَّ للأسير – كما عرفوه سلوكاً عاماً يضبط تصرفاتهم وأحوالهم مطلقاً – من هدي نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، في وقتٍ شاع فيه الظُّلم والاضطهاد والفوضى ، ومن قبل أن تضطّر البشرية إلى إقامة منظّمات وهيئات تنادي بحقوق الأسرى ، وما قيام تلك المنظمات والهيئات مؤخراً إلا لكثرة ما وقع ويقع من ظلم وعذاب على هؤلاء الأسرى في غياب تعاليم هذا الدين العظيم.

وقد سجّلت لنا السُّـنّة المطهّـرة أمثلـة كثـيرة عـلى حسـن التّعامل مع الأسير والرِّفق به، أذكر منها مثالاً واحداً ، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَل نَجْد ، فجاءت برجلٍ من بني حَنِيفة ، يقال لـه : ثُمامـة بـن أُثَال سيدُ أهل اليمامة ، فربطوه بساريةٍ من سواري المسجد .

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ١٢ : ١٧٤ .

فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثُمامة ؟

فقال: عندي يا محمد خير ، إن تقتلْ تقتلْ ذا دم ، وإن تُنْعِم تُنْعِم على شاكر ، وإن كنتَ تريد المال فسَلْ تُعْطَ منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ، فقال له النبي ﷺ: ما عندك يا ثُمامة ؟

فقال : ما قلتُ لك ، إن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر ، وإن تقتلْ تقتلْ ذا دم ، وإن كنتَ تريد المالَ فسَلْ تُعْطَ منه ما شئتَ .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد .

فقال : ماذا عندك يا ثُمامة ؟

فقال: عندي ما قلتُ لك ، إن تُنعِم تنعِم على شاكر ، وإن تقتلْ تقتل ذا دم ، وإن كنتَ تريد المالَ فسَلْ تُعْطَ منه ما شئتَ .

فقال رسول الله ﷺ : أطلقوا ثُمامة .

فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه .

يا محمد ، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلِّها إليَّ ، والله ، ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك ، فأصبح دينك أحبَّ الدين

كلِّه إليَّ ، والله ، ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كلِّها إليّ .

وإن خيلَك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر .

فلما قدم مكةَ قال له قائل : أصَبَوْتَ ؟ فقال : لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبَّةُ حنطة حتى يأذن فيها رسولُ الله ﷺ . أخرجه البخاري ومسلم[1].

قال الحافظ ابن حجر : ((فيه : الملاطفة بمن يُرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه))[2].

٦-الرِّفق في المعاملات المالية :

وهذا يعني أن يكون المسلم على قدرٍ عالٍ من الأخلاق الحسنة في تعاملاته مع الآخرين ، فيكون متسامحاً رحيماً ،

---

(١) البخاري : كتاب المغازي : باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (٤٣٧٢) ، ومسلم : كتاب الجهاد والسير – باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه ٣ : ١٣٨٦ حديث ٥٩ (١٧٦٤) .

(٢) ((فتح الباري)) ٧ : ٦٩٠ .

يتجنَّب المشاحّة ، ولا يضايق أحداً ، ويمهل المُعْسر ، ويتجاوز عن المسيء .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : ((رَحِمَ اللهُ رجلاً سَمْحاً إذا باع ، وإذا اشْتَرى ، وإذا اقْتَضَى)) رواه البخاري[1].

قال ابن حجر : ((فيه : الحضُّ على السَّماحة في المعاملة ، واستعمالِ معالي الأخلاق ، وتركِ المُشاحَّة ، والحضُّ على ترك التضييق على الناس في المطالبة ، وأخذِ العفو منهم))[2].

ومن الرِّفق في المعاملة : الرِّفق في استيفاء الحقِّ وفي المطالبة به .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسولُ الله ﷺ صوتَ خصوم بالباب عاليةٍ أصواتُهما ، وإذا أحدُهما يَسْتَوْضِعُ الآخرَ ، ويَسْتَرْفِقُه في شيء ، وهو يقول : والله لا أَفْعَلُ . فخرج عليهما رسولُ الله ﷺ فقال : ((أينَ المُتَأَلِّي على الله لا يفعلُ المعروفَ ؟)) . فقال : أنا يا رسول الله ، وله أَيُّ ذلك أَحَبَّ . أخرجه البخاري ومسلم[3].

---

(١) البخاري : كتاب البيوع – باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (٢٠٧٦) .

(٢) ((فتح الباري)) ٤ : ٣٥٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٩١ .

وقولها : ((إذا أحدُهما يَسْتَوْضِعُ الآخرَ ويَسْتَرْفِقُه)) أي : يطلب منه أن يَضَعَ عنه بعضَ الدَّيْن ويَرْفُقَ به في الاستيفاء والمطالبة[1].

وقوله ((فله أيُّ ذلك أحبَّ)) أي : من الوَضْعِ أو الرِّفْق[2].

ومن الرِّفق المطلوب في المعاملة : إمهال المعسر وتأجيل مطالبته ، أو مسامحته ، فإنه من فعل ذلك كان في ظلِّ عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه ، وأزال الله عنه كرب الآخرة ، وغفر له ذنبه .

ففي حديث أبي اليَسَر ، مرفوعاً : ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عنه أَظَلَّه اللهُ في ظِلِّه)) رواه مسلم[3].

وهو عند الطبراني بلفظ : ((من أنظر معسراً أو رفق به ، أظلَّه الله في ظلِّه))[4].

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٠ : ٢٢٠.

(٢) ((فتح الباري)) ٥ : ٣٦٣ .

(٣) مسلم : كتاب الزهد والرقائق – باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليَسَر ٤ : ٢٣٠٢ حديث ٧٤ (٣٠٠٦) .

(٤) ((المعجم الأوسط)) ٥ : ٢٧١ (٤٥٣٤) .

وطَلَبَ أبو قَتادةَ غريماً له ، فَتَوارَى عنه ، ثم وجده ، فقال : إنّي مُعْسِرٌ فقال : آللهِ ؟ قال : آللهِ . قال : فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : ((مَنْ سرَّه أن يُنْجِيَه الله من كُرَبِ يومِ القيامة فَلْيُنَفِّسْ عن مُعْسِرٍ أو يَضَعْ عنه)) رواه مسلم أيضاً[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ ﷺ قال : ((كان تاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فإذا رأى مُعْسِراً قال لِفِتْيانه : تَجَاوَزُوا عنه، لعلَّ اللهَ أن يتجاوزَ عنَّا ، فتجاوزَ اللهُ عنه)) رواه البخاري ومسلم[2].

٧-الرِّفق بالعنيف :

لما كان الرِّفق الأسلوب الأمثل في التّعامل ، أرشدت السُّنّة الشريفة إلى التمسُّك به حتى مع العنيف سيء الخلق ؛ تألُّفاً لقلبه ، ورحمةً به ، وتعليماً للأمة أنّ باللُّطْف يدرك المرء ما لا يدرك بالأساليب الأخرى .

عن عبد الله بن أبي مُلَيكة أنَّ النبيَّ ﷺ أُهدِيَتْ له أقبية من ديباج مزرَّدة بالذهب فقسمها في ناس من أصحابه وعزل منها واحداً لِمَخْرمةَ بنِ نوفل ، فجاء ومعه ابنه المِسْوَر بن مَخْرَمة ،

---

(١) مسلم : كتاب المساقاة – باب فضل إنظار المعسر ٣ : ١١٩٦ حديث ٣٢ (١٥٦٣).

(٢) البخاري : كتاب البيوع – باب من أنظر معسراً (٢٠٧٨) ، ومسلم : كتاب المساقاة – باب فضل من أنظر المعسر ٣ : ١١٩٦ حديث ٣١ (١٥٦٢)، وروي نحوه عن حذيفة وغيره .

فقام على الباب فقال: ادعه لي . فسمع النبيُّ ﷺ صوتَه ، فأخذ قَباءً فتلقّاه به واستقبله بأزراره ، فقال : ((يا أبا المِسْور خبَـأْتُ هذا لك ، يا أبا المسور خبَأْتُ هذا لك)) وكان في خُلُقه شِدَّة . رواه البخاري[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنتُ أمشي مع النبيِّ ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْراني غليظُ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه جذبةً شديدةً حتى نظرتُ إلى صفحةِ عاتق النبيِّ ﷺ قد أثَّرَتْ به حاشيةُ الرِّداء من شِدَّة جَذْبته ، ثم قال : مُرْ لي مِنْ مالِ الله الذي عندك ، فالتفتَ إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاءٍ .

٨-الرِّفق بالأحمق :

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رجلاً استأذن على النَّبِيِّ ﷺ ، فلمَّا رآهُ قال : ((بئس أَخو العشيرةِ ، وبـئس ابـنُ العشـيرةِ)) . فلما جَلس تَطَلَّقَ النَّبيُّ ﷺ في وجهه وانبسطَ إليه ، فلـمَّا انطلـقَ الرَّجلُ قالت له عائشة : يا رسولَ الله حين رأيْتَ الرَّجلَ قُلْـتَ له كذا وكذا ، ثـم تَطَلَّقْـتَ في وجهِـه وانبسَـطْتَ إليـه ؟ فقـال

---

(١) البخاري : كتاب فرض الخمس – بـاب قسـمة الإمـام مـا يَقْدَم عليـه ... ٦ : ٢٦١ (٣١٢٧) .

رسولُ الله ﷺ : ((يا عائشةُ متى عَهِدْتِني فحّاشاً ، إنَّ شرَّ النَّاسِ عند الله منزلةً يومَ القيامةِ من تركَه النَّاسُ اتِّقاءَ شرِّه))[1].

وفي هذا من التّعامل بالأخلاق الحسنة مع الأحمق ما هو ظاهر، كالانبساط له ، وإلانة القول في محادثته ، والترفُّق في التعامل معه ، وهذا من باب المداراة ، وليس من المداهنة في شيء .

قال القرطبي : ((الفرق بين المدارة والمداهنة : أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً ، وهي مباحة ، وربما استُحِبَّتْ ، والمداهنةُ ترك الدّين لصلاح الدنيا ، والنبيُّ ﷺ إنما بذل له من دنياه حُسْنَ عِشْرَتِه والرِّفْقَ في مكالمته ، ومع ذلك فلم يمدحه بقولٍ ، فلم يناقض قولُه فيه فِعْلَه ، فإنَّ قولَه فيه قولُ حقٍّ ، وفِعْلَه معه حُسْنُ عِشْرة ، فيزول مع هذا التقرير الإشكال بحمد الله تعالى))[2].

٩-الرِّفق بالمارّة :

وهذا يعني : عدم مزاحمتهم ومضايقتهم ، وعدم إيذائهم بما يحمله أو يطرحه في طريقهم ، والتلطُّف بهم إذا كان راكباً

---

(١) البخاري : كتاب الأدب – باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً (٦٠٣٢)، ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب مدراة من يتقى فحشه ٤ : ٢٠٠٢ حديث ٧٣ (٢٥٩١) .

(٢) نقلاً عن ((فتح الباري)) ١٠ : ٤٦٩.

وهـم مشـاة ، فهـذا مـن أدب الإسـلام ، ومـن الرِّفـق الـذي أرشدت إليه السُّنّة المطهّرة .

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة ، فسمع النبـيُّ ﷺ وراءه زجـراً شـديداً وضربـاً وصوتاً للإبل ، فأشار بسَوْطه إليهم ، وقـال : ((أيهـا النـاس ، عليكم بالسكينة ، فإن البرَّ ليس بالإيضاع))(١) .

قال ابن حجر : ((قوله (عليكم بالسكينة) أي : في السير ، والمراد : السَّيْر بالرِّفق ، وعدمُ المزاحمة . قوله (فـإن الـبرَّ لـيس بالإيضاع) أي : السير السريع))(٢) .

ومن الرِّفق : عدم إيذاء المارّة بما يحمله الإنسان في الطّريق

عن أبي موسى الأشـعري رضي الله عنـه ، عـن النَّبـي ﷺ قال: ((مَنْ مرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقِنا بنَبْلٍ ، فليأخُـذْ على نصالِها ، لا يَعْقِرْ بكَفِّه مسلماً)) رواه البخاري(٣) .

ومعنى (لا يَعْقِر) : لا يجرح .

---

(١) البخاري : كتاب الحج – باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة .. (١٦٧١).

(٢) ((فتح الباري)) ٣ : ٦١٠.

(٣) البخاري : كتاب الصلاة – باب المرور في المسجد (٤٥٢) .

١٠-الرِّفق بشريك الطعام :

إذا شاركك أحد في طعام فترفَّق به ، فإن ذلك من هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وصور الرِّفق بشريك الطعام كثيرة ، ومن تلك الصُّوَر :

ما رواه جَبَلة قال : كنَّا بالمدينة في بعض أهل العراق ، فأصابنا سَنَةٌ[1]، فكان ابنُ الزُّبير يرزقُنا التَّمرَ ، فكان ابن عمرَ رضي الله عنهما يَمُرُّ بنا فيقول : إن رسول الله ﷺ نهى عن الإقران ، إلا أن يستَأْذِنَ الرَّجلُ منكم أخاه . رواه البخاري ومسلم[2].

قال ابن حجر : ((المراد به : أن لا يقرن تمرة بتمرة عند الأكل ؛ لئلا يجحف برفقته ، فإذا أذنوا له في ذلك جاز ، لأنه حقُّهم ، فلهم أن يسقطوه))[3].

١١-الرِّفق بأهل الذِّمّة :

وأهل الذِّمّة : المعاهَدون من أهل الكتاب ومن جرى

---

(١) أي : جدْب وقحط . ((القاموس)) مادة (س ن و) .

(٢) البخاري : كتاب المظالم – باب إذا أذن إنسان لآخر شيئاً جاز (٢٤٥٥) ، ومسلم : كتاب الأشربة – باب نهي الآكل مع جماعة عن قران تمرتين ونحوهما ... ٣ : ١٦١٧ (٢٠٤٥) .

(٣) ((فتح الباري)) ٥ : ١٢٧.

مجَراهم يسكنون دار الإسلام ، والذِمّي : هو الذي أعطي عهداً يأمن به على ماله وعِرضْه ودينه .

قال البخاري في صحيحه : باب يُقاتَل عن أهل الذِّمّة ولا يُستَرقّون ، ثم أورد طرفاً من قصّة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو قوله : ((وأوصيه بذِمَّة الله وذِمَّة رسوله ﷺ ، أن يوفَّى إليهم بعهدهم ، وأن يُقاتَل مَن وراءهم ، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتهم))[1].

فعدم تكليفهم بما لا يُطاق من الأعمال والخدمات والضرائب وغيرها دعوة صريحة إل الرِّفق بهم ، وقد سطّرت كتب التاريخ صفحات مشرقة في تعامل المسلمين مع أهل الذِّمّة، وما هي إلا تجسيد لتعاليم هذا الدّين ، ورقيّ في تعامل المسلمين، وانعكاس واضح عن الالتزام بأخلاق الإسلام وهديه .

١٢-الرِّفق بالميّت :

حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حياً ، والرِّفق كما أنه مطلوب مع الأحياء ، كذلك هو مطلوب مع الأموات ، فالمسلم يطلب منه الرِّفق بالميت حال غسله وتجهيزه ، ووقت حمله ودفنه،

---

(١) البخاري : كتاب الجهاد والسير - باب يقاتل عن أهل الذِّمّة ولا يُستَرقّون ٦ : ١٩٦.

وبخاصة إذا كان لذلك الميت مزية فضل ، دلَّ على هذا الأحاديث الشريفة .

ومن أجل ذلك اختلف أهل العلم في تسريح شعر الميتة بعد غسلها ؟ فمنهم من كره ذلك، ومنهم من استحبَّه واستدلَّ على ذلك بحديث أمِّ عطيّة رضي الله عنها أنّهنَّ جعَلْنَ رأسَ بنتِ رسول الله ﷺ ثلاثةَ قرون : نقَضْنَه ، ثمَّ غسَلْنَه ، ثم جعَلْنَه ثلاثةَ قرون . رواه البخاري[1].

قال ابن حجر : ((فيه حجَّة للشافعيِّ ومن وافقه على استحباب تسريح الشعر ، واعتلَّ من كرهه بتقطيع الشعر ، والرِّفق يؤمن معه ذلك))[2].

ومن الرِّفق بالميِّت : حمله ودفنه برفق .

قال عطاء : حضَرْنا مع ابن عباس رضي الله عنهما جَنازةَ مَيْمونةَ بِسَرِفَ ، فقال ابنُ عباس : هذه زوجةُ النَّبيِّ ﷺ : فإذا رفعتُمْ نَعْشَها فلا تُزَعْزِعُوها، ولا تُزَلْزِلُوها ، وارْفُقُوا ... الحديث ، رواه البخاري ومسلم[3].

---

(١) البخاري : كتاب الجنائز – باب نقض شعر المرأة (١٢٦٠) .

(٢) ((فتح الباري)) ٣ : ١٥٩.

(٣) البخاري : كتاب النكاح – باب كثرة النساء (٥٠٦٧) ، ومسلم : كتاب الرضاع – باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ٢ : ١٠٨٨ حديث ٥١ (١٤٦٥) .

قال ابن حجر : ((قولُـه (وارْفُقُـوا) إشـارةٌ إلى أنَّ مُـرادَه السَّيْرُ الوسَطُ المُعْتدِلُ ، ويستفاد منه أنَّ حُرْمةَ المؤمن بعد موتـه باقيةٌ كما كانَتْ في حياته))[1].

ورُوي عن الأَدْرَعِ السُّلَمِيِّ أنه قال : جِئْتُ ليلـةً أَحْـرُسُ النَّبـيَّ ﷺ فإذا رجلٌ قراءتُه عاليةٌ ... ، وفيه : فمات بالمدينـة ، ففَرَغـوا مـن جِهازه ، فحملوا نَعْشَه، فقال النَّبيُّ ﷺ: ((ارْفُقُوا به رفقَ الله به ، إنه كان يُحِبُّ الله ورسولَه)) ... الحديث ، رواه ابن ماجه[2].

١٣ -الرِّفق بالحيوان :

جاء الإسلام بأحكام عدّة تبين حدود التّعامل مع الحيوان، تنطلق من شـمول الإسـلام وكمالـه ، وتتّصـف بالرَّحمـة التـي تميَّزت بها هذه الشريعة الغرّاء .

وعرف المسلمون مفهوم الرّفق بالحيوان وطبّقوه في حياتهم في زمـان كانـت تنتهـك فيـه حقـوق الإنسـان – فضـلاً عـن الحيوان– بأنواع شتى من الانتهاكات ، كالاستعباد، والقهـر ، والوأد ، وغير ذلك .

---

(١) ((فتح الباري)) ٩ : ١٥ .

(٢) ابن ماجه : كتاب الجنائز – باب ما جاء في حفر القبر (١٥٥٩) ، قال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) ١ : ٥٠٨ (٥٥٧) : ((إسناده ضعيف ؛ لضعف موسى بن عُبيدة الرَّبَذي)) .

وكان للمسلمين قصبُ السَّبْق بعشرات القرون لعملهم بتلك الأحكام، علماً بأنه لم يتنبَّه غيرهم لهذا الأمر إلا في أزمنة متأخرة ، فأنشئت فيهم المؤسسات والهيئات والمنظّمات لحماية الحيوان ورعايته .

ولم تقتصر النّصوص الشّرعية على الوصية بحيوان معيّن دون غيره، ولا على الوصية به في وقت خاص، وإنما هي شاملةٌ لكل الحيوانات غير المؤذية ، عامّة في الأوقات ، وقد أُلِّفَتْ في هذا الموضوع عدّة مؤلفات، وأُعِدَّت جملة من الرسائل العلمية التي تتناول حقوق الحيوان في الإسلام تفصيلاً ، ولا أقصد هنا تكرار ما جاء في تلك الكتب والرسائل، وإنما قصدت ذكر بعض الأحاديث الشريفة التي تدلُّ على الرِّفق بالحيوان، وما سأذكره مجرّد أمثلة وإشارات تدلُّ على هذا الأصل الهامِّ في الإسلام ، فمن ذلك :

-وجوب القيام على الحيوان بما يصلحه :

عن سهل ابن الحنظلية قال : مرَّ رسول الله ﷺ ببعيرٍ قد لَحِقَ ظهرُه ببطنه ، فقال: ((اتّقوا الله في هذه البهائم المُعْجَمة ، فاركَبُوها صالحةً ، وكُلُوها صالحةً)) رواه أبو داود[1].

---

(١) أبو داود : الجهاد – باب ما يؤمر به من القيام على الدوابِّ والبهائم (٢٥٤٨) .

وقوله ((قد لَحِق ظهرُه ببطنه)) أي : من الجوع ، ومعنى الحديث : خافوا الله في هذه البهائم التي لا تتكلم فتسأل ما بها من الجوع والعطش والتَّعب والمَشَقَّة))[1].

-وجوب نفقة الحيوان على مالكه :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال: ((عُذِّبت امرأةٌ في هرَّة ربطَتْها حتى ماتت ، فدخلَتْ فيها النَّارَ ، لا هي أطعمَتْها ولا سقَتْها إذ حبسَتْها، ولا هي تركَتْها تأكل من خَشَاش الأرض)) رواه البخاري ومسلم[2].

-الإحسان إلى الحيوان بإطعامه وسقيه سبب لمغفرة الذنوب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((بينا رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطشُ ، فنزل بئراً فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلبٍ يَلْهَثُ ، يأكل الثرى من العطش ، فقال لقد بَلَغ هذا مِثْلُ الذي بلغ بي فملأ خُفَّه ثم أمسكَه بِفِيهِ ، ثم رَقِيَ ، فسقى الكلبَ فشَكَرَ الله له ، فغفر له)) . قالوا : يا

---

(١) ((عون المعبود)) ٧ : ١٥٨.

(٢) البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب (٥٤) حديث (٣٤٨٢) ، ومسلم : كتاب السلام – باب تحريم قتل الهرة ٤ : ١٧٦٠ حديث ١٥١ (٢٢٤٢) .

رسولَ الله، وإنَّ لنا في البهائم أجراً ؟ قال : ((في كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجرٌ)) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبي ﷺ : ((أن امرأةً بَغِيّاً رأَتْ كلباً في يوم حارٍّ يُطِيفُ ببئر قد أَدْلَعَ لسانَه من العطش ، فنَزَعَتْ له بِمُوقِها ، فغُفِر لها)) رواه مسلم[2].

-الرَّحمة في استخدام الحيوان

عن عائشة رضي الله عنها أنها رَكِبَتْ بعيراً فكانت فيه صعوبةٌ ، فجعلَتْ تُرَدِّدُه، فقال لها رسولُ الله ﷺ: ((عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ...)) الحديث ، رواه مسلم[3].

ومعنى (تردِّدُه) : تجعله يسير ثم تُوقِفُه بشدَّة ، وتكرِّر ذلك عدَّة مرات ، وفي ذلك من القسوة عليه ما لا يخفى ، لذا جاء أمره ﷺ بالرِّفق مع هذا الحيوان .

---

(١) البخاري : كتاب الشرب والمساقاة – باب فضل سقي الماء (٢٣٦٣) ، ومسلم: كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ٤ : ١٧٦١ حديث ١٥٣ (٢٢٤٤) .

(٢) مسلم : كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ٤ : ١٧٦١ حديث ١٥٤ (٢٢٤٥).

(٣) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ : ٢٠٠٤ حديث ٧٩ (٢٥٩٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ: ((إذا سافَرْتُم في الخِصْب فأَعْطُوا الإبلَ حظَّها من الأرض ، وإذا سافرْتُم في السَّنَةِ فأَسْرِعوا عليها السَّيرَ ...)) الحديث ، رواه مسلم[1].

قال النووي : ((معنى الحديث : الحثُّ على الرِّفق بالدّوابِّ ومُراعاةِ مصلحتها ، فإن سافروا في الخِصْب قلّلوا السيرَ ، وتركوها ترعى في بعض النهار وفي أثناء السير ، فتأخذ حظَّها من الأرض بما ترعاه منها ، وإن سافروا في القَحْط عجَّلوا السيرَ ؛ ليصلوا المَقْصِدَ وفيها بقيَّةٌ من قوَّتها ، ولا يُقَلِّلوا السَّيْرَ فيَلْحَقُها الضَّررُ ؛ لأنها لا تَجِدُ ما تَرْعَى فتَضْعُفُ ...))[2].

-النَّهْي عن التحريش بين الحيوانات

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن التحريش بين البهائم . رواه أبو داود والترمذي[3].

---

(١) مسلم : كتاب الإمارة – باب مراعاة مصلحة الدواب في السير ... ٣ : ١٥٢٥ (١٩٢٦) .

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) ١٣ : ٦٩ .

(٣) أبو داود : كتاب الجهاد – باب في التحريش بين البهائم (٢٥٦٢)، والترمذي : كتاب الجهاد – باب ما جاء في كراهية التحريش ... (١٧٠٨)، ثم أخرجه الترمذي (١٧٠٩) مرسلاً ، وحكى أنه الأصح ، ثم قال: ((وفي الباب عن طلحة وجابر وأبي سعيد وعِكْراش بن ذُؤَيب)) .

والتَّحْريش بين الحيوانات مُجانِبٌ للرِّفق بها ، لأن معناه ((الإغراء ، وتهييجُ بعضِها على بعض ، كما يفعل بين الجِمال ، والكِباش ، والدُّيوك ، وغيرها ، ووجْهُ النَّهْيِ أنَّه إيلامٌ للحيوانات ، وإتعابٌ لها بدون فائدة ، بل مجرَّد عَبَث))[1].

-النهي عن وَسْم الحيوانات في الوجه ، وضربها على الوجه

عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن الضَّرب في الوجه ، وعن الوَسْمِ في الوجه . رواه مسلم[2].

وفي رواية عند مسلم أيضاً : أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ عليه حمار قد وُسِم في وجهه ، فقال : ((لعن الله الذي وَسَمه))[3].

قال ابن الأثير : ((يقال : وسمَه يَسِمه سِمَةً ، إذا أثَّر فيه بكَيٍّ ، ومنه الحديث : أنه كان يَسِم إبِلَ الصدقة ، أي : يُعلِّم عليها بالكَيِّ ، ومنه الحديث : وفي يده المِيسَم، هي الحديدة التي يُكْوَى بها))[4].

---

(١) ((عون المعبود)) ٧ : ١٦٥ ، و ((تحفة الأحوذي)) ٥ : ٢٩٩ .

(٢) مسلم : كتاب اللباس والزينة – باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووَسْمِه فيه ٣ : ١٦٧٣ حديث ١٠٦ (٢١١٦) .

(٣) مسلم ٣ : ١٦٧٣ حديث ١٠٧ (٢١١٧) .

(٤) ((النهاية)) ٥ : ١٨٦ .

-الرِّفق بالحيوان مطلوب حتى عند إزهاق روحه

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ : ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: ((إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء ، فإذا قَتَلْتُمَ فأَحْسِنوا القِتْلة ، وإذا ذبحتم فأَحْسِنوا الذبحَ ، ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرتَه ، وَلْيُرِحْ ذبيحتَه)) رواه مسلم[1].

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أَقْرَنَ يَطَأُ في سواد ، ويَبْرُكَ في سواد ، وينظر في سواد ، فأُتِيَ به لِيُضَحِّيَ به ، فقال لها : ((يا عائشةُ هَلُمِّي المُدْيَةَ)) . ثم قال : ((اشْحَذِيها بحَجَرٍ)) . ففعلَتْ ، ثم أخذها ، وأخذ الكبشَ فأَضْجعَه ، ثم ذبحه ، ثم قال : ((باسم الله ، اللهم تقبَّل من محمد وآل محمد ومن أُمّة محمد)) . ثم ضَحَّى به . رواه مسلم[2].

قال النووي : ((هذا موافقٌ للحديث السابق في الأمر بإحسان القِتْلَةِ والذَّبْحِ ، وإِحْداد الشَّفْرةِ ... وفيه : استحبابُ إِضْجاعِ الغنم في الذبح ، وأنها لا تُذْبَحُ قائمةً ولا باركةً ، بل

---

(١) مسلم : كتاب الصيد والذبائح – باب الأمر بإحسان الذبح والقتل .. ٣ : ١٥٤٨ حديث ٧٥ (١٩٥٥).

(٢) مسلم : كتاب الأضاحي –باب استحباب الضحية ... ٣ : ١٥٥٧ حديث ١٩ (١٩٦٧) .

مُضْجَعةً ؛ لأنه أرفقُ بها ، وبهـذا جـاءت الأحاديـث ، وأجمـع المسلمون عليه))[1].

-النهي عن تعذيب الحيوان

عن هشام بن زيد قال : دخلْتُ مع أنسٍ عـلى الحكـم بـن أيوب ، فرأى غلماناً - أو فتياناً - نَصَبوا دجاجةً يرمونها . فقال أنـس : نهـى النبـيُّ ﷺ أن تُصْـبَرَ البهـائم . رواه البخـاري ومسلم[2].

وعن سعيد بن جُبَيْر قال : كنت عند ابن عمر فمَرُّوا بفِتْيـة أو بنفر نصبوا دجاجةً يرمونها ، فلما رَأَوُا ابنَ عمر تفرَّقوا عنهـا وقال ابن عمر : مَنْ فعل هذا ؟! إن النَّبِيَّ ﷺ لعنَ مَنْ فعلَ هذا رواه البخاري ومسلم[3].

---

(١) ((شرح صحيح مسلم)) ١٣ : ١٢٢ .

(٢) البخاري : كتاب الذبائح والصيد – باب ما يكره من المُثْلة والمصبورة والمُجَثّمة (٥٥١٣) ، ومسلم : كتاب الصيد والذبائح – باب النهي عن صبر البهائم ٣ : ١٥٤٩ حديث ٥٨ (١٩٥٦) .

(٣) البخاري : كتاب الذبائح والصيد – باب ما يكره من المُثْلة والمصبورة والمُجَثّمة (٥٥١٥) ، ومسلم : كتاب الصيد والذبائح – باب النهي عن صبر البهائم ٣ : ١٥٤٩ حديث ٥٩ (١٩٥٨) .

الخاتمة

من أهم معالم هذا البحث ونتائجه :

- أن الرِّفق سلوك محمود ، وهو نتيجة حسن الخلق والسّلامة، وأن العنف مذموم ، وهو نتيجة الغضب والفظاظة.

- ورد في مشروعية الرِّفق وبيان فضله والترغيب فيه العديد من الأحاديث النبوية ، كما أن هديه ﷺ في سائر شئونه أعظم دليل على مشروعية الرِّفق وفضله .

- الرِّفق في أصل مشروعيته مندوب إليه إجمالاً ، وقد يكون غير ذلك باختلاف الحالة ومدى حاجتها إلى الرِّفق ، فربما صار الرِّفق في بعض الأحيان واجباً ، وربما جلب في بعض المواقف ضرراً فصار حراماً .

- يتنوّع الرِّفق بالنَّظر إلى باعثه : إلى فطري ومكتسب ، وبالنَّظر إلى محلِّه إلى ذاتيّ ومتعدّ . .

- للرِّفق ضوابط ينبغي العناية بها لأهميتها ، وبدونها ربما فُسِّر الرِّفق تفسيراً خاطئاً .

- يسعى المسلم من خلال تعامله بالرِّفق إلى تحقيق جملة من الأهداف التي ينبغي عدم تجاهلها .

- أهم مجالات الحياة ثلاثة : العبادات ، والعلاقات الأسرية ، والحياة العامة ، ويحرص المسلم على تحقيق ثقافة الرِّفق فيها جميعاً ، عملاً بالأحاديث الشريفة التي أرشدتنا إلى ذلك .

- أما العبادات : فالرِّفق والرحمة من خصائصها ، ومما يميز شريعة الإسلام عن ما دونها من الشرائع والنُّظم .

- وأما العلاقات الأسرية : فالرِّفق مطلوب في تعامل المسلم مع أبيه وابنه وأخيه وأخته وزوجه ورحمه وصهره ، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة .

وأما الحياة العامة : فميدانها فسيح ، وصورها كثيرة ، وقد حرصت على ذكر أبرز صورها ، ومن ذلك : رفق الحاكم برعيته ، ورفق الرعية بالولاة ، والرِّفق في التعليم ، والرِّفق في النصيحة ، والرِّفق بالضعيف ، ويشمل : الخادم ، والمريض ، والمُصاب ، والعدوّ بعد التمكُّن منه ، والأسير، والرِّفق في المعاملة ، والرِّفق بالجاهل والأحمق وسيء الخلق ، والرِّفق بأهل الذِّمّة ، والرِّفق بالميت ، وغير ذلك ، حتى الحيوان الأعجم ناله حظٌّ من الرفق به في شريعة الإسلام ، مما يدل على شمولها ، وأنها من عند الله تعالى .

***

المصادر والمراجع

ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد

١-المصنف ، طبعة محمد عبد السلام شاهين (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٦) .

ابن الأثير الجزري ، المبارك بن محمد

٢-النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت ، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣) .

ابن بطال ، علي بن خلف بن عبد الملك

٣-شرح صحيح البخاري ، تحقيق أبي نعيم ياسر بن إبراهيم (الرياض، مكتبة الرشد ، الأولى ١٤٢٠) .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي

٤-صيد الخاطر ، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض (بيروت ، دار الكتاب العربي ، الرابعة ١٤١٢) .

ابن حبان البستي ، محمد بن حبان بن أبي حاتم

٥-الثقات (طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الأولى ١٣٩٣) .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي

٦-الإصابة في تمييز الصحابة ، المطبوع بحاشيته الاستيعاب لابن عبد البر (مصورة دار إحياء التراث العربي عن الطبعة الأولى ١٣٢٨)

٧-تقريب التهذيب ، تحقيق محمد عوامة (حلب ، دار الرشيد ، السادسة ١٤١٢) .
٨-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة قصي محب الدين الخطيب (القاهرة دار الريان ، الأولى ١٤٠٧) .
٩-مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ، تحقيق صبري ابن عبد الخالق أبو ذر (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الأولى ١٤١٢) .

ابن حميد ، أبو محمد عبد بن حميد

١٠-المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي (القاهرة ، مكتبة السنة ، الأولى ١٤٠٨) .

ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله أبو عمر

١١-الاستذكار ، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٢١) .

ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

١٢-شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت ، دار الكتب العلمية) .

ابن منظور ، محمد بن مكرم

١٣-لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، الأولى ١٤١٠) .

أبو الشيخ الأنصاري ، عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد

١٤-طبقات المحدثين بأصبهان ، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الثانية ١٤١٢) .

الأزدي ، عبد الله بن أبي جمرة
١٥-بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها (بيروت ، دار الجيل ، الثالثة) .
الأصبحي ، مالك بن أنس
١٦-الموطأ ، رواية يحيى الليثي ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، مصورة دار إحياء التراث العربي) .
الأصفهاني ، الراغب
١٧-مفردات ألفظ القرآن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق ، دار القلم ، وبيروت الدار الشامية ، الأولى ١٤١٢) .
البخاري ، محمد بن إسماعيل
١٨-الأدب المفرد ، المطبوع مع شرحه : فضل الله الصمد ، طبعة محب الدين الخطيب (القاهرة ، دار المطبعة السلفية ، الثالثة ١٤٠٧) .
١٩-الجامع الصحيح ، المطبوع مع شرحه : فتح الباري لابن حجر ، طبعة قصي محب الدين الخطيب (القاهرة ، دار الريان ١٤٠٧) .
البزار ، أبو بكر ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق
٢٠-البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، تحقيق د . محفوظ الرحمن زين الله (بيروت : مؤسسة علوم القرآن ، والمدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ، الأولى ١٤٠٩) .
البوصيري ، أحمد بن أبي بكر
٢١-مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية (القاهرة ، دار الكتب الحديثة) .

البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي
٢٢-السنن الكبرى (مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد ١٣٤٤)
الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة
٢٣-الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر وآخرين (بيروت ، مصورة دار إحياء التراث العربي) .
الجرجاني ، علي بن محمد
٢٤-كتاب التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت ، دار الكتاب العربي، الثانية ١٤١٣) .
الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله
٢٥-المستدرك على الصحيحين (مصورة دار الكتاب العربي للطبعة الهندية) .
الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي أبو بكر
٢٦-تاريخ بغداد (بيروت ، مصورة دار الكتب العلمية) .
الدارقطني ، علي بن عمر
٢٧-سنن الدارقطني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٤) .
الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان
٢٨-تلخيص المستدرك المطبوع بحاشية المستدرك (مصورة دار الكتاب العربي للطبعة الهندية) .
٢٩-سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، السابعة ١٤١٠) .

الرازي ، عبد الرحمن بن أبي حاتم

٣٠-الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت ، مصورة دار الكتب العلمية لطبعة حيدر آباد ١٣٧١) .

الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن أبو محمد

٣١-كتاب أمثال الحديث ، تحقيق أمة الكريم القرشية (باكستان ، طبعة حيدر آباد ١٣٨٨) .

الزركلي ، خير الدين

٣٢-الأعلام (بيروت ، دار العلم للملايين ، السادسة ١٩٨٤م) .

الزمخشري ، محمود بن عمر

٣٣-أساس البلاغة (بيروت ، دار المعرفة) .

الزيلعي ، عبد الله بن يوسف

٣٤-نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية (مصورة دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، والمنار للنشر والتوزيع بدمشق ، الأولى ١٤١٨).

السجستاني أبو داود ، سليمان بن الأشعث

٣٥-سنن أبي داود ، طبعة عزت عبيد الدعاس (حمص ، دار الحديث ، الأولى ١٣٨٨) .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن

٣٦-المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، طبعة عبد الله محمد الصديق (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤٠٧) .

الشيباني ، أحمد بن محمد بن حنبل

٣٧-مسند أحمد بن حنبل (مصورة مؤسسة قرطبة للطبعة الميمنية)

الطبراني ، سليمان بن أحمد

٣٨-المعجم الأوسط ، تحقيق د . محمود الطحان (الرياض ، مكتبة المعارف ، الأولى ١٤٠٥) .

٣٩-المعجم الصغير (بيروت ، مصورة دار الكتب العلمية) .

٤٠-المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي (العراق ، وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، الثانية ١٤٠٤) .

العراقي ، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين

٤١-المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، المطبوع بحاشية إحياء علوم الدين (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الثانية ١٤١٢) .

العظيم ابادي ، أبو الطيب محمد شمس الحق

٤٢-عون المعبود شرح سنن أبي داود (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الثانية ١٤١٥) .

علوان ، عبد الله ناصح

٤٣-تربية الأولاد في الإسلام (حلب ، دار السلام للطباعة والنشر ، الثالثة ١٤٠١) .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد

٤٤-إحياء علوم الدين (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الثانية ١٤١٢).

الفارسي ، علي بن بلبان

٤٥-الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٠٧) .

الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب
٤٦-القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الثانية ١٤٠٧) .
القاضي ، عبد الفتاح عبد الغني
٤٧-الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع (المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، الأولى ١٤٠٤) .
القرطبي ، محمد بن أحمد ، أبو عبد الله
٤٨-الجامع لأحكام القرآن (دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان) .
القزويني ، محمد بن يزيد ابن ماجه
٤٩-سنن ابن ماجه ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة ، مصورة دار الحديث) .
الكفوي ، أيوب بن موسى ، أبو البقاء
٥٠-الكليات ، تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤١٢) .
المباركفوري ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم
٥١-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٠) .
المزي ، يوسف بن عبد الرحمن
٥٢-تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين (بومباي، الدار القيمة - وبيروت ، المكتب الإسلامي ، الثانية ١٤٠٣) .
٥٣-تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق د . بشار معروف عواد (بيروت، مؤسسة الرسالة ، الرابعة ١٤٠٦) .

المناوي ، محمد عبد الرؤوف

٥٤-فيض القدير شرح الجامع الصغير (القاهرة ، مصورة دار الحديث)

المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي

٥٥-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، طبعة مصطفى محمد عمارة (القاهرة ، دار الريان للتراث ١٤٠٧) .

الموصلي أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى

٥٦-مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد (دمشق وبيروت ، دار الثقافة العربية ، الأولى ١٤١٢) .

النسائي ، أحمد بن شعيب

٥٧-السنن الكبرى ، تحقيق د . عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن (بيروت ، دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١١) .

٥٨-المجتبى (السنن الصغرى) ، عناية عبد الفتاح أبو غدة (حلب ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، الثالثة ١٤٠٩) .

النووي ، يحيى بن شرف

٥٩-شرح صحيح مسلم (المطبعة المصرية ، الثالثة) .

النيسابوري ، مسلم بن الحجاج

٦٠-الجامع الصحيح ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، مصورة دار إحياء التراث العربي) .

الهيثمي ، علي بن أبي بكر

٦١-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بيروت ، مصورة دار الكتب العلمية عن طبعة مكتبة القدسي ١٣٥٢ القاهرة) .

المحتويات

هذا الكتاب

تبرز أهمية هذا الكتاب من خلال الحاجة الماسّة إلى التّعامل بالرفق في شتى مجالات الحياة، في الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين سرعة الغضب والانفعال ، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة ، وأهملوا الرِّفق واللين في حياتهم إما تهاوناً أو جهلاً .

وهذا الكتاب يهدف الكتاب إلى تفعيل هذا الخلق العظيم في حياة الأمة، وتجسيده واقعاً ملموساً ، وسلوكاً متّبَعاً في كل المجالات ؛ لتقديم الإسلام بصورته الواقعية، ليسود الحب والوئام بين أهل الإسلام .

أن الرفق في أصله مندوب إليه ، ويتأكد في بعض الحالات فيصير واجباً ، وقد يجلب مفسدة أو ضرراً في أحيان أخرى فيكون حراماً .

ويتنوّع الرفق بالنظر إلى باعثه إلى : رفق فطري ، ورفق مكتسب . وبالنظر إلى محله إلى : رفق ذاتي ، ورفق متعدٍّ .

وله ضوابط ينبغي مراعاتها ، وبدونها ربما فُسّر الرفق تفسيراً خاطئاً .

ويتحقَّق بالرِّفق جملة من الأهداف الدينية والدنيوية التي يحرص العاقل عليها .

ثم إن الرفق مطلوب في شتى مجالات الحياة ، ومن أبرزها : الرِّفق في مجال العبادات ، والرِّفق في محيط العلاقات الأسرية ، والرِّفق في العلاقات العامة .

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN